مجلة شهرية
عدد: 82 Issue No:
حزيران 2014 June

نور المسيح يسوع المسيح الغالب
ΦΩΣ XPIΣTOY
جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

آباء الكنيسة العظام

من أجل الخلاص المشترك، أعظكم أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرّة للقديسين

رسالة يهوذا ٣:

أصالة إيمان كنيستنا الروميّة الأرثوذكسيّة (القويم الرأي)
يستند إلى حقيقة البشارة التي كرزَ بها ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، والتي علّمها لرسله الأطهار ، وأعلنها لهم جهاراً قبل صعوده الإلهيّ: « لكنكم ستَنالون قوّة متى حَلَّ الرّوح القدس عليكم،وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقاصي الأرض» (اعمال١ :٨).

لذا فإنّ كنيستنا الرّوميّة الأرثوذكسيّة هي الدرع الواقي والحصن المنيع للحفاظ على هذا الكنز الروحي الثمين بالدفاع المستميت لآباء الكنيسة العظام ،والتقليد الشريف ، ومن خلال مفاعيل الروح القدس المستقرّ فيها.

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد
لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم
العظة التاسعة في العماد

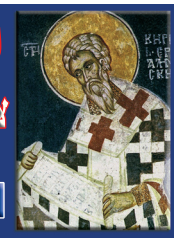

«مَن هذا الذي يلبس المشورة بأقوال ليست من العلم بشيء... إني سائلك فأخبرني: أينَ كنتَ حين أسّست الأرض؟ بَيِّن إن كنتَ تعلم الحكمة ..»
(أيوب ٣٨:٢-٤)

«خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى»

المسيح هو الأسد الخارج من سبط يهوذا (تكوين ٤٩:١٠) وهو حمل الله الرافع خطيئة العالم. (يوحنا ١:٢٩).

١٠ ـ ... ومنتجات الأرض ...

أمام هذه العجائب، أيّ موقف كان يجب إتخاذه ؟ التجديف على الخالق أم عبادته ؟ هذا، ولم أقل شيئاً عما أتته حكمته من عجائب غير منظورة. أنظر الى الربيع والى الزهور التي تختلف أنواعها على الرغم من تشابهها: فمن وردة قرمزية اللون إلى زنبقة ناصعة البياض. كلتاهما إرْتَوَتَا من ندى واحد ونَبَتَتَا في أرض واحدة، فَمَن نَوَّعَهُمَا هكذا، ومَن الذي خلقهما ؟ أُنظر الى هذه الدِّقة: فمن مادة الشجرة ذاتها جزءٌ يُنبت أوراقاً وجزءٌ يُنتج ثماراً، مع كون المادة هي ذاتها. وعلى نفس الكرمة نجد منها ما هو للحرق وما هو للنموّ. وما هو للأوراق وما هو للعرائيس وما هو للعناقيد. تأمّل في العقَد المتعدّدة في جذع قصبة صنعها الخالق ! ومن أرضٍ واحدة تخرج الزحافات، والوحوش الضارية، والقطاعات والأشجار والأطعمة، والذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر. طبيعة المياه واحدة ومنها تأتي الأسماك والطيور: الأولى تسبح فيها، والثانية تهيم في الجوّ.

١١ ـ ... وحيوانات البحر

« هذا البحر الكبير الواسع هناك دبّابات ليس لها عددٌ حيوانات صغار مع كبار، فهي لا تُحصَى» (مز١٠٣:٢٦). مَن يقدر أن يَصف روعة الأسماك التي تعيش فيه ؟ مَن يستطيع أن يَصف عظمة الحيتان وطبيعة الحيوانات البرمائية التي يمكنها أن تعيش على أرض صحراوية كما تعيش بالماء. مَن يستطيع أن يَصف عمق البحار وعرضها، وقوّة أمواجها الهائلة ؟ ومع ذلك فقد وضع الله لها حداً لا تتعدّاه، إذ قال: «إلى هنا تبلغ ولا تعدو، وهنا يسكن طغيان أمواجك» (أيوب ٣٨:١١). ويذعن البحر لهذا الأمر، إذ هو، عندما يجري، تترك أمواجه خطاً واضحاً على الشاطىء، كأنما هي تُعلن أن لها حدوداً لا يجب أن تتعدّاها.

١٢ ـ عظمة الله في الطيور ...

مَن في استطاعته أن يُدرك طبيعة طيور السماء، ويعرف كيف أنّ بعضَها يُطلق ألحاناً موسيقية عذبة، والبعض له أجنحة مرقّطة بشكل فنّي عجيب، والبعض يطير في الجوّ ويتوقّف عن الحركة كالصقر. لأن الله أمر بذلك: «يستقلّ البازي في الجوّ ويبسط جناحيه نحو الجنوب» (أيوب ٣٩:٢٦). أي إنسان يستطيع أن يُمعن النَظر في النسر وهو يحلّق في العلاء ؟ إذا كنتَ لا تستطيع أن تصل الى إرتفاع الطيور غير العاقلة، فكيف تريد أن تُدرك خالق الكون ؟

١٣ ـ ... وفي الحيوانات ...

مَن من الناس يعرف أسماء كل الحيوانات ؟ أو يستطيع أن يفحص تركيب كل منها ؟ إن كنا لا نعرف أسماء الحيوانات، فمن أنّى لنا أن نُدرك الخالق ؟ لقد أصدر الله أمره قائلاً: «لتُخرج الأرض بهائم ودبّابات وزحّافات بحسب أَصنافها» (تك ١:٢٤). ومن أرض واحدة وأمر واحد خرجت أصناف متنوّعة: الحَمَل الوديع والأسد المفترس. ولكل منها غرائز مختلفة باختلاف طبائع البشر: إذ يدلّ الثعلب على خداع الانسان، وترمز الحية الى خيانة الاصدقاء، ويذكّر الحصان بصهيله جموح شهوات الشبان، وتوقظ النملة النشيطة خمول الكسلان. وعندما يقضي الإنسان شبابه في البطالة، يقول له الكتاب الإلهي بالامتثال بالحيوانات غير العاقلة: «إذهب الى النملة، أيها الكسلان؛ أُنظر طُرُقها وَكُن حكيماً» (أمثال ٦:٦)؛ فكما تراها تجمع مؤونتها في الوقت المناسب، إقتَد بها واجمع لنفسكَ ثمار الأعمال الصالحة للحياة الأبدية. «واذهبَ كذلك الى النحلة وتعلّم منها النشاط» (امثال ٨:٨)، وانظر كيف تنتقل بين الزهور لتصنع العسل لمنفعتك. وأنتَ كذلك اقرأ الكتب المقدسة وأعمل لخلاص نفسك. وبعدما تنهل منها، قُل: «ما اعذب أقوالك في حلقي هي أحلى في فمي من العسل» (مز١١٨:١٠٣).

محتويات العدد

العظات الثمانية عشرة للقديس كيرلس الأورشليمي	2
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث	3
الصلاة الكهنوتية القديس يوحنا الذهبي الفم	4
عيد العنصرة غريغوريوس اللاهوتي	6
الوداعة والتواضع المطران جورج خضر	8
إصطحبا أولادكما الى الكنيسة	10
صياد الناس	11
الصلاة في المزامير للقديس يوحنا الذهبي الفم	12
الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور	14
العناية الإلهيّة للقديس يوحنا الذهبي الفم	15
في المسيح نتشكّل ...	16
العهد القديم (٦٦)	17
فليضىء نوركم	18
سنكسار الشهيد يوستينوس	20
الإسكندر في بيت المقدس (لإبن خلدون)	21
تطويب المسيح للتلاميذ للقديس كيرلس الإسكندري	22
إنتبه للحسد للقديس باسيليوس الكبير	23

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديسين الملكين العظيمين قسطنطين وهيلانة المعادلي الرسل

«إن قسطنطين العظيم لم يأخذ مع أمّه عزَّ المُلك من البشر. بل من النعمة الألهيّة من السماء. فإنّه أبصَر فيها علامة الصليب الألهي تسطع نوراً. فقهر به الأعداء الالدّاء. وأباد ضلالة الأوثان. وأيّد في العالم الإيمان القويم»

أيها الأخوة الأحباء.

أيها المؤمنون،

والزوّار الحسنيّو العبادة.

كنيسة أورشليم المقدّسة ، تُعَيِّد بفرح وابتهاج وسرور، بتذكار القديسين العظيمين والمتوّجين من اللّه والمعادلي الرُسل، قسطنطين وهيلانة.

ويفتخر بإجلال وإكبار واهتمام كبير، بهذه المناسبة العَطِرة، **الدير المركزي سيوذي أون طغمة أخوية القبر المقدس**. لأنّ **القديسين المجيدين قسطنطين وهيلانة** ،هما اللذين أسّسا وأنشئا وهيّئا طغمة أخوية القبر المقدس المباركة.

إنّ العطيّة والموهبة الإلهيّة التي مُنحت للقديس قسطنطين ، شملت بدورها كلّ المسكونة ، وخاصة الأرض المقدسة ، وذلك لسببين هامّين إثنين،: كما يعبّر عن ذلك مرنّم الكنيسة.

١) إنّ علامة الصليب الإلهي كانت السلاح الذي قهر به الأعداء الالدّاء ، وأباد بواسطته ضلالة الأوثان.

٢) إزدياد قوّة الإيمان الروميّ الأرثوذكسيّ .

إنّ الملك قسطنين بادر بشخصه الكريم إلى دعوة أساقفة الكنيسة الـ ٣١٨، لمجمع مسكونيّ أوّل ، في مدينة نيقية في آسيا الصغرى، وقد ترأّس الملك قسطنطين هذا المجمع المسكوني رغبة منه في إظهار الحق وتثبيته.

وأوعز الملك قسطنطين بالكشف والتنقيب عن الأماكن المقدسة الشريفة ، التي ارتبطت بصورة وثيقة مع أحداث التاريخ المقدّس ، أي التدبير الإلهي بالمسيح ، بالوجود الطبيعي في حيثيات الكرازة والتبشير في الأراضي المقدسة والتي أخذت ذروتها ، القديسة هيلانة بإيجادها لصليب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. في أورشليم .

وفي هذه المناسبة الروحيّة ، نقتبس ولو جزءاً يسيراً من الأقوال التي صدرت من الملك قسطنطين في المجمع المسكوني الأوّل حيثُ حُفِظَ هذا النصّ في كتاب لأقساقيوس أسقف قيصريّة فلسطين إذ يقول فيه، في حفظ الإيمان المقدّس:

وأنا عندما أحفظ الإيمان الإلهيّ ، فإنّي أشارك في النّور الحقيقيّ.

وأنا عندما أُرْشَدُ من نور الحقيقة ، عندها أقتني ضمير الإيمان الإلهيّ. (أقساقيوس : كتاب ٤ ، فقرة ٩ – ثيودوريتوس: كتاب ١ – فصل ٢٤).

غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث

هذه الحقيقة السماويّة المنيرة تتماهى مع كل شخص يسير في منهج الإيمان القويم، فهي التي تُرشده الى نور المعرفة (وبنورك نعاين النّور)، عاضدة إيّاه لأن يحتمل التجارب والضيقات وأعمال الظلم والإفتراء والإستبداد، بصبر واحتمال من الأعداء المنظورين وغير المنظورين ، متيقناً بحقيقة ما قاله الرسول بولس: «فإنّي أحسبُ أنّ آلام الزَّمان الحاضَر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستَعلن فينا» (رومية ٨:١٨).

فكلّ شخص يسعى بجهاد روحيّ في طريق الخلاص عليه أن يكون مستعداً لإقتبال مساوىء الآخرين ، بوداعة وتواضع متشبهاً بالمسيح الإله والإنسان.

نشكر اللّه المثلث الأقانيم ، الذي أهّلنا بإقامة شعائر القداس الإلهي ، في كنيسة القديسين قسطنطين وهيلانة في قلب هذا الدير العامر ، مكرّمين تذكارهم المقدس ، ضارعين إلى اللّه بأن يمنّ بخيراته الوافرة ، وغير المدركة لهذا الدير العامر برهبانه وطغماته ، وكذلك لرعيّتنا المباركة التي تحمل اسم المسيح ،طالبين أن يعمّ السلام في ربوع منطقتنا ، التي ينزف دمها من جراء الحروب والإضطهادات ، طالبين شفاعة القديسَيْن المتوجَيْن من اللّه قسطنطين وهيلانه أن يرسل لنا اللّه رحمته العظمى. آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب

البطريرك ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الصلاة الكهنوتية

«كُلُّ ما هو لي هو لَكَ وكُلُّ ما هوَ لَكَ هو لي ... ليكونوا واحداً كما نحنُ واحدٌ»
(يو١٧: ١٠-٢٢)

الجزء الأوّل

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

«تكلّم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب قد أتت الساعة. مَجِّد ابنك ليُمَجِّدَكَ ابنُكَ أيضاً» (يوحنا ١٧: ١).

«أمّا مَن عَمِلَ وعَلَّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات». طبعاً لأن فلسفة الكلام أمرٌ سَهل اما برهان الكلام بالأعمال فهذا من شأن انسان شجاعٌ وعظيم. لذلك عندما تكلم المسيح عن طول الاناة حثّ تلاميذه ان يتخذوه قدوة. وبعد هذه الوصية **ابتدأ بالصلاة** معلّماً ايانا انه في وقت الشّدة علينا ان نترك كلّ شيء ونلتجيء الى اللّه. قال:«في العالم سيكون لكم ضيق» (يو١٦: ٣٣) وأدخَلَ هكذا في نفوسهم قلقاً. كما انه من خلال الصلاة يسترعي انتباهم من جديد لأنه حتى الآن كانوا يصغون اليه كإنسان. وكان يصنع كل هذه الأشياء من اجلهم كما في حادثة اقامة لعازر حيث ذَكَرَ سبب عمله قائلاً: «لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ ليؤمنوا انّك ارسلتني» (يو١١: ٤٢).

نعم لقد صنعَ هذه الاشياء كلّها من أجل اليهود، ولكن لماذا يصنعها أيضاً من أجل التلاميذ؟ والامر طبيعي اذ كانوا يقولون: «الآن نعلم انك عالمٌ بكل شيء» (يو١٦: ٣٠). اذاً كانوا هم أيضاً بحاجة الى براهين عملية. لكن الانجيلي لم يدعُ العمل القائم صلاة بل ماذا قال: «تكلّم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء». دعا العمل بالاحرى حديثاً مع الآب. وفي ظرف آخر يسمّي عمله صلاة ويُظهر نفسه ساجداً ورافعاً عينيه الى السمّاء فلا تتعجّبوا من ذلك. لأنه أراد من ذلك ان يعلّمنا استمرارية الصلاة حتى اذا وقفنا لنصلّي لا نتطلّع فقط بأعيننا الجسدية، بل نرفع أيضاً أعينَ ذهننا ونركع من أجل أن نَسحَقَ قلبنا أيضاً. لأن المسيح لم يأت ليُظهر لنا فقط نفسه بل وأيضاً ليعلّمنا الفضيلةَ. والذي يُعلّم لا يكتفي بالكلام بل يُعلّم ويَعمَل. لنسمع ماذا يقول:

«أيها الآب قد أتت الساعة مَجّد ابنك ليمجدك ابنُك أيضاً» (يو ١٧: ١).

I صلاة يسوع من أجل نفسه (يو١٧: ١-٥)

يُظهر هنا أيضاً انه لا يأتي الى الصلب عن غير ارادته. لأنه كيف يمكن لَهُ ان يأتي عن غير ارادته هو الذي **يطلب الصلب ويدعوه مجداً** (أي ذُكصا) ولا يتكلّم فقط عن مجده بل أيضاً عن مجد الآب. وهذا ما حصَل إذْ لم يتمجّد الابنُ فقط بل وأيضاً الآب مع الابن. ذلك لأنه قبل الصليب لم يكن اليهود يعرفونه فهو يقول: «لكن إسرائيل لم يعرفني» (اشعيا١: ٣). لكن بعد الصليب أسرعت المسكونة بأسرها الى جانبه. ومن ثمّ يذكر أيضاً طريق المجد وكيف سوفَ يتمجّد. «كما بالسلطان الذي أعطيته على كل الناس حتى لا يهلك احد من الذين أعطيته». إن كان أحد يحسن باستمرار فهذا مما يشكّل مجداً للّه.

«يو١٧: ٢» ماذا يعني بـ «إذ أعطيتَه سلطاناً على كل جسد»

«يُظهر اولاً ان كرازته لا تقتصر فقط على اليهود بل تشمل أيضاً المسكونة وتهيّء دعوةَ الأمم». لقد قال: «الى طريق امم لا تمضوا» (مت١٠: ٥) لكنه قال أيضاً بعد ذلك: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت٢٨: ١٩). ممّا يدلّ على ان الآب يريد ذلك. ممّا عَثّر اليهود كثيراً وكذلك التلاميذ. لأنهم حتى بعد ذلك لم يطيقوا الاتصال بسهولة بالأمم الى ان أخذوا تعليم الروح. وهذا أيضاً يُشكّل عثرة كبيرة لليهود. بعد برهان الروح القدس الكبير هذا، جاء بطرس الى اورشليم واستطاع بصعوبة ان يتجنّب الاتهامات عندما ذكر ما حصل مع السِّماط (الشرشف) المُدَلّى من السماء (في الاصحاح ١١ من أعمال الرسل).

ماذا يعني اذاً بقوله: «اذ اعطيتَه سلطاناً على كل جسد»؟ متَى أخذ مثل هذا السلطان ؟ هذا ما نستطيع ان نطرحَه سؤالاً على الهراطقة. أَقَبْلَ ان جَبَلَهم أم بعدها؟ لأن الرب يقول بعد الصَلب والقيامة «دُفِعَ اليّ كلُ سلطان في السماء وعلى الارض، اذهبوا وتلمذوا كل الامم ...» (مت٢٨: ١٨-١٩).

ماذا اذاً؟ ألم يكن له سلطان عليهم؟ جبل البَشر وبعد ذلك لم يَعُد له سلطانٌ عليهم؟ (كان يتمتع بهذا السلطان في العهد القديم: يعاقب البعض حين كان يخطىء ويعيد آخرين من أجل تقويمهم لانه يقول: «أأكتم عن ابراهيم ما أنا صانعه» (١٨: ١٧) ويكرّم آخرين يتمّمون وصاياه).

هل كان لديه سلطان وبعد ذلك أضاعه ثم عاد وامتلكه من جديد؟ اي شيطان يمكن ان يتفوّه بهذا الكلام؟ خاصة وان سلطانه هو من عنده في الماضي كان ذلك ام في الحاضر (لانه يقول: «كما ان الآب يقيم الاموات ويُحيي، كذلك الابن يُحيي من يشأ» (يو٥: ٢١). ماذا

يعني هذا الكلام كلّه ؟ كان عليه ان يُرسل تلاميذه الى الأمم وحتى لا يعتقدوا انه يُدخل تعليماً جديداً بعد ان سَبَقَ وقال لهم «لم أُرسَل الاّ الى الخراف الضالة من بيت اسرائيل» (مت١٥:٢٤)، يبرهن لهم الآن ان ذلك هو أيضاً من ارادة الآب. وان كان **يتكلّم هكذا بتواضع** فليس هذا من العجب. لأنه هكذا كان يرشد شعبه في القديم وبعدها استمرّ ان يرشده بتواضعٍ فائق.

ماذا يعني بـ «على كل جسد»؟ هذا لأنهم لم يؤمنوا كلّهم. ولكن من جهته يحسبهم مؤمنين كلهم. ان لم يصغوا لكلامه فلا يعود اللوم على المعلّم بل على الذين لم يتقبّلوا كلامه.

«ليعطي حياة أبدية لكل مَن أعطَيتَه». ان كان **يتكلم هنا بصورة بشرية** فلا تعجب من ذلك لأنه يفعل ذلك للاسباب التي ذُكرَت سابقاً. ولأنه يتهرّب دائماً من ان ينسبَ لنفسه شيئاً هاماً لأن ذلك سوفَ يصدم فكرَ سامعيه لأنهم في البداية لم يتصوروه بمرتبة رفيعة. عندما يتكلّم يوحنا من نفسه لا يتبع الطريقة نفسَها بل يتكلم بطريقة سامية قائلاً مثلاً: «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء ممّا كان» (يو١:٣) « هو الحياة» (يو١:٤) «هو النور» (يو١:٩) «جاء الى خاصته» (يو١:١١) ولم يَقل: لن يكون له سلطان لو لم يأخذه بل قال أعطى للآخرين «سلطاناً لكي يكونوا أبناء اللّه» (يو١:١٢) يدعوه بولس «معادلاً للّه» (فيلبي٢:٦). أمّا هو فيتوسّل الى الآب بطريقة بشرية جداً قائلاً ما يلي: «ليعطي حياة أبدية لكل من اعطيته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

«وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو١٧:٣).

«الاله الحقيقي وحدك». قال ذلك ليميّزه عن الآلهة الكاذبة طالما سوف يرسل تلاميذه الى الامم. ان لم يعتبروه الهاً حقيقياً سوف يتابعون تفكيرهم ويُنكرون بالتالي انه هو اللّه وهو الذي يقول: «المجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه» (يو٥:٤٤).

ماذا اذاً ؟ اليس الابن هو اللّه ؟ ان كان الابن هو اللّه ويُدعَى وحيداً للآب، من الواضح انه حقيقي ويُدعى الحقيقي وحده. وماذا أيضاً؟ عندما يقول بولس «ام انا وحدي وبرنابا»؟ (١كور٩:٦) هل يُقصي برنابا خارجاً؟ كلا. كلمة «**وحدي**» **تستخدم للتمييز عن الآخرين**. ان لم يكن الهاً حقيقياً فكيف يكون الحقيقةوالحقّ؟ (يو١٤:٦) لأن الحقيقة لا تختلف عن الحقيقي. وماذا يقول ان لم يكن حتى انساناً؟ حسب الطريقة نفسها اي ان لم يكن الابن الهاً حقيقياً كيف يمكن له ان يكون اللّه ؟ كيف يمكن له ان يجعلنا آلهة وأبناء إن لم يكن هو حقيقياً؟

يو١٧:٤: «أنا مجّدتك على الأرض» حسناً قال «على الارض» لأنه كان ممجّداً في السماء طالما كان لديه المجد بحسب الطبيعة تسجد له الملائكة. هو لا يتكلم هنا عن ذلك المجد الذي يتصل بجوهره (لأن ذلك المجد، حتى وان لم يمجّده أحد، يبقى معه بصورة كاملة. هنا يتكلم عن المجد الذي سوف يأتيه من عبادة البشر من هنا ان العبارة «مجّدني» (يو١٧:٥) لها هنا هذا المعنى أيضاً.

ولكي تتأكد من ذلك استمع لما يلي: «العمل الذي اعطيتَني لأعمل قد أكملته»؟ إمّا انه يعني لقد عملت ما كان يتوجّب عليّ ان أعمله أو انه يدعو ما قد أكمله هذا الذي سوف يكمله او اخيراً وخاصةً ان كلَ شيء كان قد تمّ طالما قد وضع جذرَ الصالحات الذي منه سوف تأتي حتماً الثمار وانه سوف يكون موجوداً ومتصلاً بكل ما سوف يجري في المستقبل. لذلك **يتكلم هنا بطريقة متنازلة متواضعة**. «الذي أعطيتَني» لأنه إن كان عليه أن ينتظر ليسمع ويعلم (ليسمع من الناس انهم قد مجّدوه بعد الصَلب والقيامة) ، فهذا ما يُبعدنا كثيراً عن مجده. لقد عمل كل شيء بارادته هذا ما يتضح من اماكن كثيرة. عندما يقول بولس الرسول: «كما احبّنا المسيح أيضاً واسلم نفسه من اجلنا» (افسس٥:٢). «واخلى ذاته آخذاً صورة عبد». وأيضاً «كما احبني الآب كذلك أحببتكم انا» (يو١٥:٩).

«والآن مجدّني أنتَ أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو١٧:٥).

واين هو ذلك المجد؟ كونه قريباً من الناس لم يكن له مجد بسبب لباسه البشري، فكيف يطلب ان يُمَجَّد قريباً من اللّه ؟ ماذا يقصد بهذا الكلام؟ هنا الكلام مرتبط بعمل التدبير الإلهي لأن الطبيعة البشرية لم تكن بعد قد مُجِّدَت (هذا ما حصل على الصليب، في القيامة وخاصة عند الصعود الإلهي) ولم تكن بعد قد لبست لباس عدم الفساد كما لم تأخذ بعد مكانها على العرش الملكي الإلهي. لذلك لم يقل على الارض بل قال الذي «كان لي عندك».

خلاصة وإرشاد:

هذا المجد سوف نتمتّع به نحن أيضاً كلٌّ حسب قامته ان كنّا منتبهين، لذلك يقول بولس: «ان كنّا نتألم معه لكي نتمجّد ايضاً معه» (رومية٨:١٧) لذلك يستحقّ الرثاء كل الذين يرون امامهم مثل هذا المجد وبسبب توانيهم ،كسلهم يجلبون الشرّ لأنفسهم. بالنسبة لهؤلاء حتى إن لم يكن من جحيم الاّ انهم أشقَى من الكلّ. إذ وباستطاعتهم ان يملكوا وأن يُمَجَّدوا مع ابن اللّه ، نراهم يحرمون أنفسهم من الخيرات الكثيرة ... **(انتهى الجزء الأوّل)**

الجزء الثاني في العدد القادم

خَسِرَ الذي تركَ الصلاة وخابا

خَسِرَ الذي تركَ الصلاة وخابا ... وأبلى مَعاداً صالحاً ومآبا

إن كان يجحَدُها فحسبُكَ أنّه ... أضحى بِرَبِّكَ كافراً مُرتابا

أو كان يتركُها لنوع تكاسل ... غَطَّى على وجهِ الصوابَ حجاباً

عيد العنصرة البنتيقوسطي

للقديس غريغوريوس اللاهوتي

هذه العظة يُرَجَّح أنها أُلقيَت في القسطنطينية عاصمة بلاد الروم ، بمناسبة هذا العيد في ١٦ أيار عام ٣٨١م. وكان القديس حينئذ في خطر شديد على حياته من الأريوسيين بسبب جرأته في المُناداة بالإيمان الحقيقي .

تُرجمت من: NPNF, 2nd Seres, Vol. VII, p. 378

احتفالنا بالأعياد إنما يكون بما يَسرُّ روح اللّه، وما يسرُّه هو أن نكنز في نفوسنا في العيد أموراً روحية خالدة ونلتصق بها.

نحن في عصر الروح القدس:

... نحن نكرّم يوم الخمسين ليس كما كرَّمه العبرانيون، ولكننا نراعي طقوساً أخرى غير تلك التي كانوا يراعونها، فنحن نقيمها بطريقة سرائرية. ونحن نحتفل بعيد البنتيقوسطي الذي فيه حلَّ علينا روح اللّه، وهو الوقت المُعَيَّن لتحقيق الوعد الذي عليه رجاؤنا.

كم عظيمٌ وجليلٌ هذا السرّ! لقد انتهى زمن وجود الرب يسوع بين الناس بالجسد، وبدأ عصر الروح القدس. إنه يُرَتِّب بكل حكمة كل ما يخصنا بحسب تدبيره الإلهي وأحكامه التي لا تُستَقصَى، وهذه هي أسرار المسيح .

لقد عمل روح اللّه أولاً في القوات السمائية والملائكية، باعتبار أنها هي المحيطة باللّه، لأنه لا يوجد ينبوع آخر يتدفّق منه كمالهم وضياؤهم، كما أن صعوبة أو استحالة دفعهم إلى الخطية إنما هو من الروح القدس. ثم عمل بعد ذلك في الآباء والأنبياء حيث عاين الآباء رؤى من اللّه أو عرفوه، والأنبياء تنبأوا عن المستقبل. ثم عمل في تلاميذ المسيح بثلاث طرق بقدر ما أمكنهم أن يأخذوا الروح، وفي ثلاث مناسبات:

الأولى: قبل أن يتمجَّد الرب بواسطة الآلام ؛ **والثانية:** بعد أن تمجَّد بالقيامة؛ **والثالثة:** بعد صعوده إلى السماء.

✚ في المناسبة الأولى: ظهر عمل الروح في شفاء المرضى وإخراج الأرواح الشريرة.

✚ وفي الثانية: ظهر في نفخة الرب في تلاميذه بعد القيامة التي كانت إلهاماً إلهياً واضحاً قائلاً: «اقبلوا الروح القدس».

✚ وفي الثالثة: بتوزيع الألسنة النارية عليهم الذي نحتفل بذكراه الآن.

ولكن في المناسبة الأولى، كان ظهور الروح غير واضح؛ وفي الثانية، كان أكثر وضوحاً؛ أما في الثالثة، فبوضوحٍ كامل، حيث إنه لم يَعُد حاضراً بقوته وحدها، بل يمكننا أن نقول بجوهره **مقترناً بنا وساكناً فينا**. لأنه كان من اللائق أنه كما أن ابن اللّه عاش معنا بهيئة جسدية محسوسة؛ هكذا أيضاً روح اللّه كان ينبغي أن يظهر في هيئة محسوسة، وبعد أن عاد المسيح إلى موضعه الخصوصي، كان ينبغي أن روح اللّه ينزل إلينا !

الروح المعَزِّي والنّاري والمُعطي المواهب:

هكذا جاء الروح القدس إلينا بعد المسيح حتى لا نكون مُعوَزين إلى مُعَزٍّ، بل إنّ الربّ يُسميه «مُعَزِّياً آخر» (يو١٤: ١٦) حتى نتعَرَّف على مساواته الأقنومية للابن، لأن كلمة «آخر» تدل على مساواته للابن في الربوبية والجوهر. وحلوله على هيئة ألسنة هو بسبب علاقته الوثيقة بالكلمة (ابن اللّه).

✚ وهذه الألسنة كانت من نار بسبب قوة الروح القدس المُطَهِّرة أو بسبب جوهره لأن «إلهنا نارٌ آكلة» (عب١٢: ٢٩) تحرق الأثمة.

✚ وكانت الألسنة منقسمة بسبب تعدُّد المواهب. وقد استقرت على التلاميذ لتعني ملوكية الروح القدس وراحته في القديسين، ولأن الشاروبيم (الملتهبون ناراً: «خدَّامه ناراً ملتهبة» ـ مز١٠٣: ٤) هم عرش اللّه.

✚ وقد حدث كل ذلك في علِّية لأن الذين ينالون الروح عليهم أن يصعدوا ويُرْفَعُوا فوق الأرض.

✚ والرب يسوع نفسه أعطى سرّ الشركة في علِّيّة للداخلين إلى الأسرار العُليا، وذلك لكي يظهر أن اللّه ينبغي أن ينزل إلينا كما فعل في القديم مع موسى النبي، ومن الناحية الأخرى أننا يجب أن نصعد إليه، وهكذا تتم الشركة بين اللّه والناس بالإندماج في الكرامة. لأنه طالما أن كُـلاً من الاثنين يظل باقياً في مقامه: اللّه في مجده، والإنسان في حقارته؛ فلا يمكن لصلاح اللّه أن يمتزج بنا، وحنوُّه الإلهي يظل غير قابل لأن نتساوى فيه ومعه، وتبقى هوَّة عظيمة لا يمكن عبورها، هذه التي تفصل ليس فقط بين الغني ولعازر وحضن ابراهيم الذي يتوق إليه الغني؛ بل أيضاً بين الطبائع المخلوقة المتغيِّرة وذاك الذي هو أبدي وغير قابل للتغيير.

كيف أعلن الأنبياء عن روح اللّه:

✚ لقد أعلن الأنبياء ذلك في الأمثلة الآتية: «روح السيِّد الرب عليَّ» (إش٦١:١). ويتنبأ إشعياء النبي عن عمل الروح مع المسيَّا المنتَظَر بقوله: «ويخرج قضيب من جذع يسَّى ، وينبت غصنٌ من أُصوله، ويحلُّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب» (إش١١:١-٢). كما أنه رأى من وراء الدهور روح اللّه يقود شعبه: «روح الرب أراحهم، هكذا قُدْتَ شعبك لتصنع لنفسك اسم مجد» (إش٦٣:١٤). كما أن الروح ملأ بَصَلْئيل فهماً ليَتَفَنَّن في بناء مسكن اللّه مع الناس: «قد دعوتُ بصلئيل ... وملأتُه من روح اللّه بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة» (خر٣١:٢-٣).

✚ أما التمرُّد على اللّه فهو يُحزن روحه: «ولكنهم تمرَّدوا وأحزنوا روحه قُدسه» (إش٦٣:١٠). وقد توسّل داود النبي إلى اللّه قائلاً: «وروحك القدوس لا تنزعه مني» (مز٥٠:١١)، وطلب قيادته: «روحك الصالح يُهديني» (مز١٤٢:١٠).

✚ ثم وَعَدَ اللّه الإنسان به على فم يوئيل النبي: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر (أي على كل الذين يؤمنون)، فيتنبَّأ بنونكم وبناتكم ...» (يوئيل٢:٢٨).

عمل الروح في العهد الجديد:

✚ كما أن الروح يُمَجِّد المسيح ، لأنه يأخذ مما للمسيح ويُخبرنا بكل شيء: «ذاكَ يُمَجِّدني، لأنه يأخذ ممَّا لي ويُخبركم» (يو١٦ :١٤). ففي العهد الجديد كم كان الوعدَ بالروح غزيراً وفَيَّاضاً!

✚ وهو **يمكث معنا إلى الأبد**: «وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم مُعَزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحقّ» (يو١٤:١٦-١٧)، وذلك سواء كان هنا مع الذين هم مستحقون في هذا الزمان، أو هناك مع الذين حُسبوا أهلاً للدهر الآتي، إذ كانوا قد حفظوا روح اللّه فيهم هنا بحياتهم ولم ينبذوه بخطاياهم.

✚ وكان روح اللّه قد اشترك مع ابن اللّه في كلٍّ من الخلقة والقيامة. فالكتاب يقول: «بكلمة الرب صُنِعَت السموات، وبنسمة (أو بروح) فيه (أي فمه) كل جنودها» (مز٣٣:٦). وأيضاً: «تُرسل روحك فتُخلَق (أعمالك يا رب)، وتجدِّد وجه الأرض» (مز١٠٣:٣٠).

✚ وروح اللّه هو أصل الولادة الجديدة الروحانية: «إن كان أحد لا يولَد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت اللّه» (يو٣ :٥)، ويتنقى من ولادته الأولى المظلمة بتجديده إلى النور الذي به يُخلَق كل إنسان من جديد.

✚ هذا الروح، لأنه هو «روح الحكمة ومحبٌّ للإنسان» (حكمة ٦:١) ، إذاً تملّك على راعٍ يجعل منه مرتلاً للمزامير ومُخضعاً للأرواح الشريرة بألحانه (١صم١٦:٢٣)، ثم يجعله ملكاً مثل داود النبي. وإذا تملَّك على جاني جميز يجعله نبياً مثل عاموس النبي (عا٧:١٤). وإذا تملَّك على شاب صالح يجعله قاضياً (سوسنة: دا ١٣:٤٥-٦٤)، هذا هو دانيال النبي الذي شهد بانتصاره على الأسود في جُبِّهم (دا٦:٢٢).

✚ ثمّ وإذا تملَّك على صَيَّادي سمك يجعلهم يصطادون العالم كله في شباك المسيح، رافعين إيَّاهم في شبكة كلمة اللّه. انظر إلى الرسل بطرس وأندراوس وابني الرعد (يعقوب ويوحنا ابني زبدي) وهم يُرعدون بأمور الروح، وحتى العشّارون يربحهم الروح للتلمذة للمسيح ويجعلهم تجاراً للنفوس مثل القديس متى الذي كان عشّاراً بالأمس وصار اليوم إنجيليّاً. وإذا كانوا غيورين في اضطهادهم للآخرين، يُحَوِّل الروح موضوع غيرتهم ويجعل من كل منهم بولس بدلاً من شاول، ويملأهم بالتقوى بقدر ما وجدهم مملوئين بالشر.

✚ ومع أنه هو روح الوداعة، إلاَّ أنه يُستثار من الذين يُخطئون. دعونا، إذن، نُقَدِّم برهاناً على أنه لطيفٌ لا على أنه غضوبٌ، وذلك باعترافنا بكرامته. ولتكن رغبتنا هي ألاَّ نراه غاضباً غير صفوح.

✚ أنه هو الذي أعطاني الجرأة أمامكم اليوم، وإن كنتُ لا أجد راحةً بسبب الذين يبغضوننا، فإننا نطلب من اللّه أن ينقذهم وينبغي أن نشكره. وإن كنا نخاطر بأنفسنا، فلعلّه يُخصِّصنا لنوال هذه المكافأة على تبشيرنا بالأنجيل، وهي أن يجعلنا كاملين بسفك دمائنا (لعلّه بذلك يُلَمِّح إلى تربُّص الأريوسيين به لكي يقتلوه).

ماذا تعني الآية:
«ابتدأوا يتكلَّمون بألسنة أخرى» (أع٢:٤)؟

لقد تكلّم الرسل لا بلغتهم الوطنية بل بألسنة (أي لغات) غريبة عنهم، وكانت معجزة عظيمة أن يتكلَّموا بلغة لم يتعلَّموها، وهي «آية لا للمؤمنين، بل لغير المؤمنين» (١كو١٤:٢٢) حتى تدين غير المؤمنين، كما هو مكتوب: «إني بذوي ألسنة أخرى وبشفاه أخرى سأُكلِّم هذا الشعب ، ولا هكذا يسمعون لي يقول الرب» (١كو١٤: ٢١؛ إش٢٨:١١-١٢)، ولكنهم سمعوا.

✚ وهنا نسأل عن الآية التي فيها شيء من الغموض: «كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته» (أع٢:٦). فهل كان كلٌ منهم يسمع لغته، مما يجعلني أقول إن الرسل كانوا ينطقون صوت لغة واحدة، في حين كان الناس يسمعون عدّة لغات بأصوات أكثر وضوحاً من صوت الرسل الأصلي؛ أم أننا ينبغي أن نفصل بين جملتين هكذا: «كل واحد كان يسمعهم»، ثم يضيف: «يتكلمون بلغاتهم» إلى الكلام التالي ؟ وهذا يعني أن الرسل كانوا يتكلَّمون بلغات تخص السامعين، ولكنها غريبة عن المتكلِّمين. إنّني أُفَضِّل هذا المعنى الأخير ، وذلك **لأن المعجزة في خطة اللّه كان يُقصَد بها أن تكون للسامعين وليس للمتكلِّمين**، مع أنها في ذلك قُصِدَ بها أن تكون من جانب المتكلِّمين. ولذلك لامهم البعض على زعمهم أنهم سُكارَى، لأنهم بالروح صنعوا معجزة التكلُّم بالألسنة.

بلبلة الألسنة فرَّقت، وروح اللّه وحَّد:

✚ كما كانت بلبلة الألسنة في القديم جديرة بالثناء عندما كان أهل بابل يبنون البرج بلغتهم الواحدة في الشر والفساد (تك١١ :١ -٩) ـ كما يُخاطر البعض الآن بأن يكونوا هكذا ـ لأن بلبلة ألسنتهم حطَّمت وحدة قصدهم وأوقفت عملهم؛ هكذا معجزة يوم الخمسين

التتمة في ص ٩

الوداعة والتواضع

للمطران جورج خُضُر
مطران إيبارشية جبل لبنان
للروم الأرثوذكس

عن جريدة
النهار اللبانية
٩ آب ٢٠٠٨

التحرُّر من الشهوات يُسَمَّى في التصوُّف الأرثوذكسي هدوءاً، حيث الروح الإلهي فاعلٌ وأنتَ مُتَقَبِّل، أي أنّ آخَرَ يُنشىء الوداعة فيك. وإذا كتَبَ يوحنا صاحب سُلَّم الفضائل، الناسك الكبير في صحراء سيناء، عن الهدوء يقول إنه اللاهَوى، ويُحَدِّد هذا على أنه الكمال المتشبِّه باللّه، والسماء الأرضية، وقيامة النفس قبل القيامة العامة.

لا كلام بعد هذا الكلام، لأنك إن بلغتَ هذا العُلَى، لا تبقى في حاجة إلى تعبير لساني. ويُوَضّح القديس يوحنا هذا في المقالة الثامنة أن الوداعة هي: «سكون النفس وتَقبُّلها للإهانات والكرامات بحال واحد على السواء». ويتوَسّع في الكلام عن الرذيلة المناقضة وهي عندهم **الغضب**، وكما عَرَّفَ الوداعة بالهدوء يُعَرِّف الغضب بالإضطراب. عند الشتيمة تسكت، هذه درجة أولى من الخير، أما الدرجة الثانية، فتحزن من أجل شاتمك، والدرجة العُليا أن تتصَوّر الضرر الذي أحدثه الشتْم في الشاتم وأن تبكي على خطيئته بكاءً حاراً.

لعل أهم ما في فضائلنا الاعتراف بالآخَر. الوداعة فضيلة ثالوثية بامتياز لأنك لا تَلقَى الآخر على أنه آخر إلاَّ لاعترافك بأن اللّه يُجدك لأنه يوجدهم. أن يوجدهم اللّه فهو أن يُوجد شخصيته. وأنت بدَورك تحافظ عليها، لأن الرب أرادها كذلك. أنتَ تقيم في الرِّقَة، أي في ذلك التخلّي عن الصدام الذي لا تندم عليه.

الغضب ومشتقاته هما ثنائية: التقابل في الظاهر، ولكن في الحقيقة هي وحدانية الإبادة. أما الرِّقَة فهي إلغاؤك أنتَ لأنـاك ليقوم الآخر، ولكن يقوم ليس في أناه، ولكن يقوم أمام اللّه الذي يوجدهم بنعمته من جهة. وبالرِّقَة التي سَكَبَتها عليه النعمة.

ليست الرِّقَة فقط اعترافاً بالآخر، إنها قابلية لتكوينه، لأن في الفظاظة قَتْلَه. عندما تصبح الرِّقَة وداعَة إنجيلية، فهي تَنفي العنف في النفس. غير أنها ليس لها وَعدٌ بخلاص الآخر حتميٌّ، إذ الودعاء يُقتَلون. هم مُرَشحون للموت بصورة أو بأخرى لأنهم مُسحاء اللّه. وفي كل حال هم نسيٌ منسيٌّ، لأن القداسة لا تَكتب التاريخ، إنها تَكتب الملكوت. الأشرار يكتبون الأزمنة إلى أن يحلّ اللّه في الزمان الأخير مملكة الوداعة.

في حياتنا اليومية ليس مثل الرِّقَة تُوَحِّد الأجيال. أنت تتذمّر من وَلَدُكَ لكونه يضجّ عليك. دَعْه يضج لتفرح بنموه. مرة شكت لي أم وليدها لأنه يكسر الصحون. قلت لها: هكذا يكبر ولدك. فقولي لزوجك أن يضع في ميزانيته مبلغاً من المال لشراء الصحون التي يحطّمها ابنه. وليس مثل الوداعة تُوَحِّد الأزواج الذين كثيراً ما يصرخون. فإذا أحسستَ بالإضطهاد بسبب الصراخ، فمن العسير عليك أن تعود إلى الوحدة وإلاَّ تكون وحدة هَشّة.

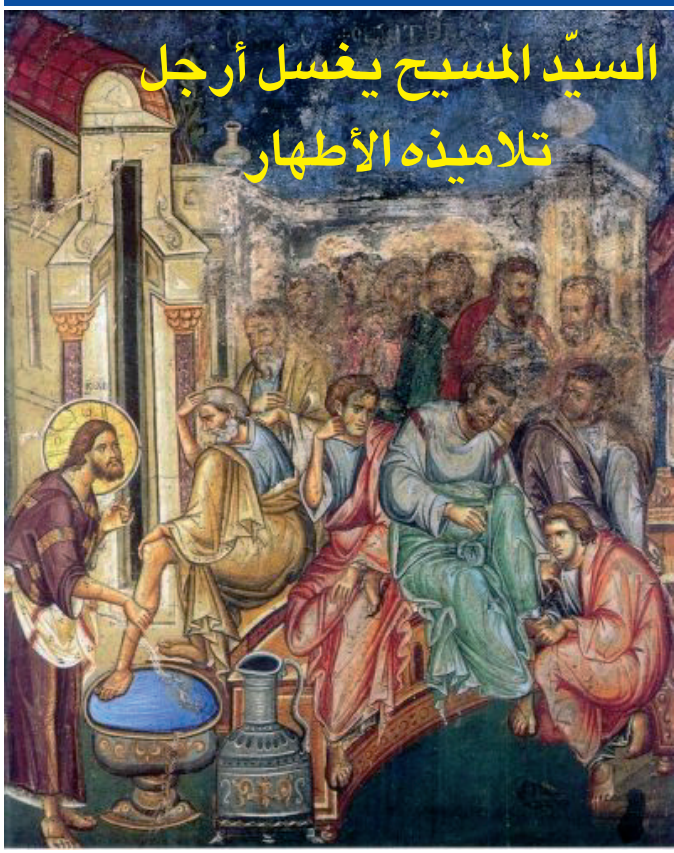

السيّد المسيح يغسل أرجل تلاميذه الأطهار

الغَضوب مجنون بحيث إنه يختلق عالماً غير العالم الحلو الذي هو مناخ معايشتنا الطبيعية. وهذا الجنون تحديداً أن تعيش في دنيا تصطنعها، ومتى حصلتَ على الهدوء لابد لك أن تبتهل من أجل ذاك الذي يثير فيك الاضطراب «ابتهالاً خالصاً»، كما يقول القديس يوحنا السلّمي (كليماكوس)، وأنتَ في حال الهدوء. وهكذا تَتَرَوّض على الصبر وعلى تنقية النفس والغفران. فَلْيَنْصَبّ دُعاؤك على الذين يغيظونك علَّهُم يَعْقلـــون. وفي هذا قال إشعياء: «وإلى مَن أنظر إلاَّ إلى الوديع الهادىء» (إش٦٦:٢).

إذا ذهبتَ إلى إنسان وديع، فإنك تعرف قبل المقابلة أنه لن يفترسك، وأنك مقبولٌ منه بدءاً، وأن حظك في الإقناع ممكن أو قوي، لأن الآخر سَيُصغي إليك. فإذا كان كل الناس ودعاء، فالبشرية تصير إنساناً واحداً، إذ لا يكسر وحدة الناس إلاَّ الغضب. الدعوة الى الوحدة هي وحدة في الطهارة والثقة لأن المحبة تثق. ولكون الدول لا تثق بعضها ببعض تكتب معاهدات. وبسبب الخطيئة يكتب المدين للدائن سنداً «**يستوفيه بالمحكمة**» أي **بخوف القوّة**. ولكن بسبب ضياع الرِّقَة ، يحتاج المجتمع الى التدابير القسرية. هذا التأمُّل يقودنا إلى تأمُّل آخر يُمليه علينا قول المسيح.«تعلّموا مني لأني وديعٌ ومتواضع القلب» (مت١١:٢٩). لماذا هذا التلازم ؟ يُزَيّن لي أنَّ ما يجمع بين الكلمتين هو أنّ الرِّقَة والتواضع كلاهما موت عن الأنا. ويدعم قول بولس الرسول: «مَن ظَنَّ أنه شيء فهو ليس بشيء» (غل٦:٣).

التواضع أن تنزل إلى قاع الوجود، بل تعتبر نفسك أنّك غير موجود، وأن كل ما تعمله من صلاح إنما اللّه عاملُه فيكَ وبكَ. اللّه يمرّ بكَ لوصولك إلى الآخر ، وأنت لا تصل إليه إلاَّ إذا محوتَ الأنا الذي فيك. وفي هذا قال بولس: «إختار اللّه جُهَّال العالم ليُخزي الحكماء. واختار ضعفاء العالم ليُخزي الأقوياء. واختار اللّه أدنياء العالم والمُزدَرى وغير الموجود ليُبطل الموجود» (١كو١:٢٧-٢٨). ومعنى العبارة الأخيرة كما أفهمها أن اللّه اختار مَن ظَنَّ نفسه غير موجود ليُبطِل مَن ظَنَّ نفسه موجوداً.

أنتَ لا وجود لك إلاَّ بمحو نفسك أمام اللّه وأمام الآخرين. وبهذا جاء في إنجيل لوقا: «أنزَل ـ اللّه ـ الأعزّاء عن الكراسي، ورفع المتضعين» (لو١:٥٢). والمعنى أن الأعزاء هم مَن اعتبروا أنفسهم كذلك. هؤلاء يُلغيهم ربهم من أمام عينيه، ويرى فقط الذين لا يحسبون أنفسهم كباراً فيوجدوا في عينيه، في هذا المنحى كتب أحد أمراء مولداڤيا في القرن الرابع عشر لوَلِيّ عهده: «لا تَشتَه أن تكون رئيس دير ولا أسقفاً ولا أميراً (مع أنه هو المزمع بحَكم الإرث أن يصير أميراً» لأن كل هذا من مجد العالم». ذلك أن مجد اللّه فيك ـ أي الفضائل ـ مجد اللّه وحده، هو المجد. وأنتَ لا تعيه ولكن ربّك يُظهره. ما كان مجداً باطلاً يُلغيه اللّه في مسيرتنا إلى الملكوت. هذا ناتج من أن الظلمة (أي المجد الباطل) والنور (أي مجد اللّه) لا يلتقيان في الإنسان المعاصر.

أجل يجب أن تَعي النعمة التي نزلت عليك، كما يأمرنا بذلك القديس سمعان اللاهوتي الحديث *، ولكن تنسب في وعيك هذه النعمة إلى اللّه وتُدرك أنها تمرّ بك، ولكن لستَ أنتَ مُنشئها. أنتَ مجرّد ممر لتُوَزِّعها على الآخرين. القديس لا يعرف نَفسه أنه كذلك، وجهلَه لهذا يرفعه إلى مرتبة القداسة. وهذا حاصلٌ لَمَن عرف نفسه خادماً مؤتمناً على النعمة وليسَ بمالكها، لأن اللّه وحده مالك الوجود، والنعمة هي إشعاعه وحده.

رقّة أولاً وتواضع ثانياً ، يتم بينهما التلاقي ليصير الإنسان بهما موضع إلتقاء سواء. ليس من وضع بشري تستحيل فيه الرِّقّة ويستحيل معه التواضع والعُلى. هذا مكتوبٌ فقط لَمَن نزلت عليهم الوداعة والتواضع، لأنّ هؤلاء وحدهم هم أهل اللّه. ؟

*** سمعان اللاهوتي الحديث (٩٤٩-١٠٢٢م): واحد من أكبر الكُتّاب المتصوِّفين (الميستيكيين) في الكنيسة الروميّة. وقد مزج بين الحياة التأمليّة لمار اسحق السرياني وحياة المجمع المقدس للقديس باسيليوس الكبير، وتأثّر كثيراً بعظات القديس مكاريوس الكبير.**

الحياة ليست مسرحية ، اين انت من الأبدية

إفتح لي باب التوبة
يا واهب الحياة
لأن روحي تبتكر إلى هيكل
قُدسك آتياً بهيكل جسدي
مدنّساً بجملته.
لكن بما أنّك متعطف
نقني بتحنن مراحمك.

أعجبني قول أحد العلماء : منذ فجر التاريخ والانسان صبور، يخطفه الموت ومع ذلك فهو يعمّر الحياة، يقول له الدين إنّ يوم النهاية آت لا ريب فيه، ومع ذلك فهو يعمل لأيام بلا نهاية!! وعندما يموت أب أو زوج أو إبن أو صديق ، نتصوَّر وَهماً أن الموت لن يُدركنا، ربما نتكلّم عن الموت بطريقة أو بأخرى، ولكن أعماقنا توهمنا أننا نعيش الى الأبد!! خداعٌ كبير واضح، ولكن الناس يستمتعون بهذا الخداع، والانسان البدائي والانسان المتخلف هو الذي يبكي كثيراً في مواكب الموت، أما إنسان العصر والصاروخ وناطحات السحاب وسُفن القمر والمريخ، دموعه قليلة في مواكب الموت!! مات الملك يحيا الملك والحياة مستمرّة، عَـجَـبـي، نحنُ نموت كثيراً عندما نعيش كثيراً، يموت الحبّ، تموت البهجة، تموت منّا عين أو قَدَم أو ذراع، نعيش بربع قلب، بنصف كبد، برئة واحدة، تموت صداقات، كل دقيقة من حياتنا تمضي فهي موت، وكل دقيقة قي حياتنا آتية فهي إلى الموت!! ومع ذلك نعيش، ونناطح ونحارب ونتعارك ونخترع أسلحة الإبادة، وندافع عن شبر أرض، جميعنا يأخذ دورَهُ في لعبة المأساة ، وبعضنا يَسعى الى الدور الكبير ، القيادة .. ولو على موضع قدَمه، وكلّنا على مسرح غريب، يسقط فيه الآلاف ويولد فيه الآلاف!! **يا للإنسان من عجيب، ويالالدهر من رواية، ويالالزمن من مسرح ضخم!!** ليتنا ننظر الى فوق الى الحياة الجديدة، الى الميلاد الجديد.. الميلاد الثاني المجيد!! الميلاد من خلال مفاعيل الروح القدس فينا .

تتمة: البنتقسطي

هي أجدر بالثناء لأن انسكاب الروح الواحد على كثيرين جمعهم مرّةً أخرى في إنسجام الوحدة. كما تنوُّع المواهب يحتاج إلى موهبة أخرى لكي تميِّز الأفضل منها، حيث إنها كلها جديرة بالثناء. وقد كان تفريق الألسنة في القديم يعتبر ممدوحاً إذ يقول داود النبي: «أهلك يا ربّ، فَرّق ألسنتهم» (مز٥٤:٩)، لماذا؟ لأنهم أحبوا «كل كلامَ مهلك ولسان غاش» (مز٥١:٤)؛ في حين أن البعض يرتابون في صحة ألْسِنَة يوم الخمسين التي تُثَبِّت لاهوت الروح القدس (يُشير القديس غريغوريوس إلى ناكري لاهوت الروح القدس).

+ وإن كان من واجبنا الآن أن نُنهي هذا الإجتماع، إلاَّ أن هذا العيد لن تكون له نهاية. فإن كنا سنظل نحفظه الآن ونحن في الجسد، ولكن بعد قليل سنحتفل به هناك روحياً، حيث سنرى الأسباب الأصلية لهذه الأمور بوضوح وصفاء أكثر في كلمة اللّه، ربنا يسوع المسيح، الذي هو عيد المُخَلَّصين الحقيقي وفرحهم، الذي له المجد والسجود مع الآب والروح القدس، الآن وإلى الأبد آمين.

اصطحبا أولادكما إلى الكنيسة

البيت المسيحي الحقيقي يعبد الرب معاً، وأروع مظهر للعبادة الجماعية اشتراك أفراده معاً في تسبيح اللّه في الكنيسة والاشتراك معاً في سرّ الخبز الواحد والجسد الواحد، أي التناول من الأسرار المقدسة.

ولكن قد يكون لبعض الوالدين، وهم في صغرهم، خبرات غير سارة في الكنيسة، لسبَب أو لآخر، أو يكون والديهم لم يُعَوِّدوهم من صغَرهم على الذهاب للكَنيسة. وما يجب أن يعرفه الأهل هو أن معرِفَة الطريق الصحيح وما يجب شيء، وإقناع الطفل به شيءٌ آخر.

لذلك لابد أن يعرف أطفالكما:

١) ـ إنّ الذهاب إلى الكنيسة هو الطريق الذي يسلكه المؤمنون المسيحيون ليُمارسوا شركتهم مع اللّه ومع سائر أعضاء جسد المسيح. وَذَكِّرهم دائماً بحَدَث معموديّتهم حيث صاروا أعضاء في جسد المسيح، وأغصاناً في الكرمة الحقيقيّة، ورعية في حظيرة الراعي الصالح، وأن اتحادهم برأس الجسد، وثباتهم في الكرمة، وحفظهم وصونهم داخل الحظيرة هو تكميل لدعوتهم للخلاص والحياة الأبدية.

٢) ـ اشرح لطفلك لماذا يكون من الأهمية بمكان الذهاب للكنيسة والبركات الروحية التي تعود عليهم من وراء ذلك. إن عملك أيها الأب ويا أيتها الأم لا ينتهي، حتى يفهم طفلكما لماذا تطلبان منه أن يذهب معكما إلى الكنيسة. إن كنت تجُرّهم أو تدفعهم إلى الكنيسة دون أن تجعلهم يَروْن الغرض من وراء ذلك، فحينما يشُبّون قليلاً سيفتعلون أية أعذار أو أسباب لانشغالهم يوم الأحد أو يوم إقامة القداس عن الحضور.

٣) ـ وإن ظاهرة خروج الشباب من الجنسين ووقوفهم في حوش الكنيسة أصبحت ملفتة للنظر. إن عدم اقتناع الشباب يرجع إلى عدم فهمهم سرّ القداس الإلهي.

٤) ـ من المهم أن تلفت نظرهم واهتمامهم أن الحياة المسيحية لا تُمارَس فرادى أو في عزلة. فالكنيسة «جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١كو١٢:٢٧)، والعبادة الجمهورية في الكنيسة تحقّق هذه الحقيقة. إن الكنيسة أسرة كبيرة تهتم معاً اهتماماً واحداً بك وبكل عضو.

٥) ـ المواظبة والانتظام في حضور الكنيسة يساعد الوالدين في التعليم الروحي للأطفال داخل البيت، لأنه حينما يظل الوالدان هما المعلِّم الوحيد للتعاليم الإلهيّة وللسلوك المسيحي، فإن الأطفال سيظنون أن كل شيء يجب أن يعملوه متوقفٌ على فكر ووجهة نظر الوالدين. لكن الكنيسة هي المعلم الأول للتعاليم الإلهية والسلوك المسيحي، وهي ينبوع النعمة والبركة في حياة المسيحي، والوالدان يوَجِّهان الطفل إلى مصدر النعمة ونبع البركة، وفي البيت يُذَكّرانه بما رأوه وما سمعوه وما نالوه. فهناك شَركة خدمة وعمل بين

الكنيسة والبيت في تربية الطفل التربية المسيحية.

٦) ـ كذلك لا تُلقي كل عبء التعليم الروحي على مدارس الأحد والخدام، فتعليم الطفل عن اللّه معاونة متبادلة ومشتركة بين الأسرة والكنيسة.

٧) ـ اذا كانت الكنيسة هي الموضع حيث يتعَلّم الطفل والكبار عن اللّه وعن الحياة المسيحية، فعليكما أيها الأب وأيتها الأم أن تُظهرا لإبنكما أو ابنتكما تطبيق المبادىء الإنجيلية في حياتكما وفي حياة أسرتكما.

٨) ـ في الطريق الى الكنيسة، تَكلّما مع طفلكما عَمّا تتوَقّعان أن تروه وتمارسوه في الكنيسة خلال القداس الإلهي.

٩) ـ وفي دخولكما الكنيسة، اجعلا طفلكما يرى كيف تُوَقِّران بيت اللّه، بالدخول في ورع وهدوء، برشم الصليب أمام مدخل الكنيسة، ثم السجود بورع أمام هيكل اللّه: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد في (أو قدّام) هيكل قدسك بخوفك» (مز٥:٧)، ثم اتخذا مكانكما بهدوء في صفوف العابدين، ثم الاشتراك بتقوى في مردّات القداس.

إحذر من الانشغال بالآخرين وبما يلبسون وبما يفعلون، واحذرا من ترك الهاتف المحمول مفتوحاً (الذي صار سبباً جديداً للانشغال داخل بيت اللّه)! لأن كل هذه التحركات والانشغالات ستنطبع في خلفية ذهن طفلكما.

١٠) ـ وفي الطريق رجوعاً إلى البيت، اشتركا مع طفلكما في ما رأيتموه ومارستموه وتَعَلّمتموه ونلتموه، واتركا له فرصة التعبير عن كل ذلك، وراجعا معه العظة، وبعض الألحان ... الخ

١١) ـ تحادثا مع المدرسين والمدرسات في مدارس الأحد لتَعرفَا ماذا يعلِّمونه. ساعدا طفلكما في حفظ آيات الإنجيل والمزامير. وأدخلا المبادىء الروحيّة التي تعلَّمها في الكنيسة إلى حياتكم العائلَية.

١٢) ـ اذا أمكن اجعلا من يوم الأحد بالذّات يوماً مُمَيَّزاً (حتى في حالة كونه يوم عمل في المجتمع). ذَكِّراه بأنه يوم قيامة الرب، يوم الراحة الجديد الأبدي للّه بإكماله الخلاص الأبدي للبشرية، بدمه

المسفوك وقيامته وصعوده ودخوله الى راحته (انظر عب ٤: ١ – ١٠).
اجعلا من هذا اليوم يوماً محبّباً لابنكما، إما بالتوجُّه للاجتماعات الروحية مساءً، أو بالنزهة في أماكن غير ضارة، أو بعمل اجتماع روحي في بيتكما للأصدقاء والأقارب حول كلمة اللّه والصلاة. وهذا أفضل. إن الهذيذ في كلمة اللّه ومداومة الصلاة في البيت مع الآخرين يجعل الطفل يشبُّ ابناً للبركة منذ صغره.

١٣) ـ ليت الوالدين يجعلان من هذا اليوم فرصة للممارسة الإيجابية لوصايا الإنجيل. إلجم لسانك إن كنتَ في حالة مزاج غير طَيِّب. اقتصد في تعليقاتك ومناقشاتك حول المشاكل اليومية أمام ابك أو ابنتك، إلى أن يأتي الوقت حين يَشُبّ ابنك أو ابنتك فيستطيعان أن يفهما هذه المشاكل بصورة أوضح. إجعلا يوم الأحد «يوم الرب» فعلاً بالاهتمام بكل ما هو لسلامكم وخلاصكم ومنفعتكم الروحية.

١٤) ـ في أيام المواسم والنهضات الروحية والسهرات الليلية في الكنيسة حاولا بقدر الإمكان الاشتراك فيها حسب ظروفكم مصطحبين أبناءكما إليها مع توجيههم إلى مضمون المناسبة الكنسية بالشرح المناسب.

١٥) ـ لتكن لكما شركة في أنشطة الكنيسة لخدمة المحتاجين

إن اشتراك الاولاد في الخدم الروحية، يقوي لديهم أواصر المحبة ينمّي العلاقة الوثيقة ،ويزيد الإرتباط والإنتماء مع الكنيسة .

والمعوزين وذوي الاحتياجات الخاصة، واجعلا طفلكما يشترك معكما ويمد يده ليقدِّم ويعطي من مصروفه وادِّخاره، وليتعلَّم أن المسيحية ليست فقط التعاليم والممارسات بل أهم من ذلك كله: المحبة العملية لمن هو محتاج. واسردا مَثَلَ السامري الصالح (لو ١٠: ٣٠–٣٧)، وباقي الأمثلة والآيات عن أفضلية المحبة في الحياة المسيحية.

صياد الناس

ذهبا إثنين لاصطياد سمك من احدى الأنهر الفسيحة، وكان أحدهما ولدٌ صغير والآخر رَجُلٌ كبير.اصطاد الولد الصغير سمكاً كثيراً، وأما الرجُل فلم يصطاد شيئاً.

فذهب الرجُل إلى الولد ليسأله عن سبب ذلك رغماً من استعدادات الرجُل من حيث طُعم السمك والسنارة وغيرها.

وأكثر من ذلك أن تيار المياه كان يمرّ على الرَجُل قبل وصوله للفتى.

فقال له الولد:

«إنّك تصطاد وأنت واقفٌ على ضفة النهر، فتُلقي بظلّك على المياه، فيراك السمك ويهرب منك. أما أنا **فمختبأ** وراء الحشائش فلا يراني السمك فاصطاد سمكاً كثيراً».

صديقي:

هل علمتَ السرّ وراء الصيد الوفير ؟

لابدّ لصياد الناس أن يختفي ويظهر المسيح لكي يحصل على الصيد الوفير. من أجل هذا قال الرب لبطرس:

«من الآن تكون تصطاد الناس» (لو ٥: ١٠).

ولقد استطاع المعمدان أن يهيّء للربِّ شعباً مستعدّاً لأنه إختفى ليَظهَر المسيح معلناً له:

«ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠).

وإذا قرأت إنجيل يوحنا ورسائله الثلاث التي كتبها، لن تجد اسمه مكتوباً فيها بالمرّة، وذلك لأنه اختفى ليَظهَر المسيح.

إنّ معلّمي الكنيسة العظام اصطادوا كثيراً لشبكة المسيح الخلاصيّة

وحتى عندما استهلّ سفر الرؤيا بذكر اسمه وكان هو الرسول الوحيد الباقي على قيد الحياة من بين الرُسل جميعاً، كان قد اقترب من المائة من عمره.

وبرغم كلِّ ذلك لم يصف نفسه بلقب رسول بل قال: «أنا يوحنا أخوكم» (رؤيا ١: ٩). وتعمَّد أن يخفي اسمه ليَظهَر مسيحه.

عزيزي الخـــادم:

لن تستطيع أن تكون صيّاداً ماهراً للناس، إلاّ إذا اختفيت أنتَ ليظهر المسيح.

فالخادم ما هوَ إلاّ مـــوصل جَيِّـــد لكلمة اللّه ، يأخذ الكلمة من فم اللّه. ويضعها في قلـوب النّاس.

«الصلاة في مزامير داود النبي»

كما شرحها القديس يوحنا الذهبي الفم

(الجزء الأول)
من هذا البحث الآبائي

حينما خاطَب القديس يوحنا الذهبي الفم شعبه سواء مباشرة من على المنبر أو بالمقالات المكتوبة، كان يستعرض فهمه للطبيعة البشرية ولتقلبات الحياة اليومية. وقد كان اهتمامه الأول أن يسمو بشعبه ويجذبهم ليقتربوا أكثر فأكثر من شخص الرب يسوع المسيح. كان يحاول باستمرار، ليس فقط أن يُعلِّمهم كيف يحيون حياتهم متشبّهين بالمسيح، بل وأيضاً كيف يُنَمّون حياتهم الروحية. وكانت الصلاة من بين الموضوعات التي كان يُكثر الحديث عنها. وفي شروحاته على المزامير يتناول هذا الجانب الهام: «الصلاة» بتوسّع، وإن كان ليس على سبيل الحصر.

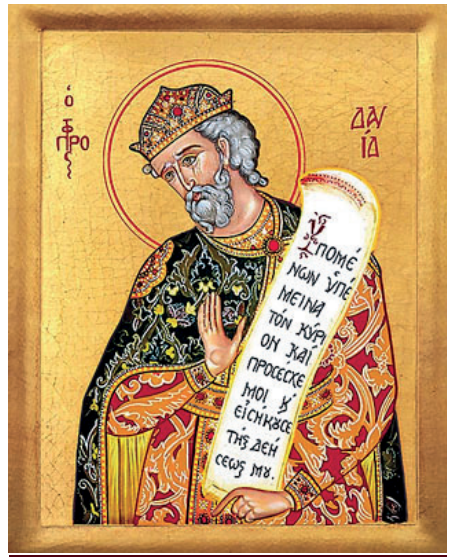

داود النبي والملك

ولا يتحدّث القديس يوحنا الذهبي الفم عن الصلاة من جهة أنواعها المتعددة (صلاة التمجيد، صلاة التوسّل، صلاة الشكر ، صلاة التضرع، صلاة التوبة ....إلخ) بقدر ما يتكلّم عن هدف أن يستجيب اللّه صلاتك بأي نوع كانت. ويدور تناوله لهذا الجانب من الصلاة حول داود النبيّ والمرنِّم ، وكيف كان يسعى لإرضاء اللّه حتى يستجيب له.

وفي شرحه للمزمور السابع الذي يصفه بأنه ترنيمة شكر بعد انتصار داود على ابنه أبشالوم، يعدّد القديس يوحنا الذهبي الفم ستة شروط لاستجابة اللّه لصلواتنا.

شروط استجابة اللّه للصلاة:

أولاً: أن تكون جديرة بالقبول من اللّه،
ثانياً: أن يُصلِّي الإنسان بما يتوافق مع شرائع اللّه،
ثالثاً: أن يُصلِّي الإنسان على الدوام وباستمرار،
رابعاً: أن لا نطلب متاع الأرض في صلواتنا،
خامساً: أن نطلب ما هو نافعٌ حقّاً لنا،
سادساً: أن نفعل كل ما في مقدورنا فعله من صلاح.

عظات القديس يوحنا الذهبي الفم:

إن العلاقة بين الصلاة والحياة عموماً هي موضوع رئيسي في شروحات المزامير للقديس يوحنا الذهبي الفم ولا يعسر علينا العثور عليها كثيراً في سائر عظاته الأخرى. **فالحياة التي يعيشها الإنسان، والطريقة التي يُعامل بها رفقاءه من بني البشر، وما يكمن داخل أعماق نفسه**، كل هذه أمور ضرورية للصلاة الناجحة، تماماً مثل أهمية كلمات الصلاة نفسها. كما أنه ليس هناك أسلوب محدّد للكلمات التي نُرضي بها اللّه، فمعاني الكلمات والإحساسات التي تقف وراءها هي التي تهم.

وهنا يتضح تأثير رسائل القديس بولس الرسول. فالقديس بولس كثيراً ما تكلَّم عن سلوك الحياة كما يحق للرب، وفي كولوسي ١٠:١ يصف مثل هذه الحياة بأنها الإثمار في كل عمل صالح. وفي تسالونيكي الأولى ١٧:٥ يحثّ المَسيحيين على الصلاة الدائمة. وهو في هذا يكرر الوصية في رومية ١٢:١٢ «مواظبين على الصلاة»، وتصريحه في أفسس ١٨:٦ : «مصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح». أما عن الحياة بحسب مشيئة اللّه فيوصي الرسول المسيحيين في رومية ٢:١٢ : «ولا تشاكلوا هذا الدهر» **(أي لا تعيشوا بحسب هذا العالم)**، ويوبّخ بولس الرسول مسيحيي فيلبي الذي «يفتكرون في الأرضيات» (في١٩:٣). ويربط القديس يوحنا الذهبي الفم بين الشرط الخامس لاستجابة الصلاة وبين القديس بولس حينما صَلَّى إلى اللّه أن يرفع عنه الشوكة التي في جسده فلم يستجبْ، بأنها مَثَل للصلاة من أجل ما ليس نافعاً للإنسان.

ومما لا شكَّ فيه أنه كان للقديس بولس تأثيرٌ عميق في تعاليم القديس يوحنا الذهبي الفم. وكثيرةٌ جداً هي إشارات القديس يوحنا الذهبي الفم في كل كتاباته وفي بعض من باقي أعماله (وإن لم يكن في شروحاته على المزامير) حيثُ يُسَجِّل إعجابه بلا حدود بالقديس بولس. ويرجع القديس يوحنا الذهبي الفم إلى القديس بولس ليس بمجرّد ترديد نصوص من رسائله ؛ بل هو يستغرق في كتاباته فيرجع إلى مضمون مفاهيمه اللاهوتية حينما يتناول موضوعاً ما. وكمثال لهذا، ما نراه في الشروط الستة لاستجابة الصلاة. فباستثناء «الصلاة بلا انقطاع» (١تس١٢:٥)، فإن باقي الأمثلة المستقاة من رسائل بولس الرسول لا تختص بالصلاة بالذات، بل بوصايا بولس الرسول للسلوك في الحياة المتمثّلة بالمسيح. مما يلفت نظرنا إلى أن الصلة بين الحياة المتمثّلة بالمسيح وبين الصلاة الناجحة هي لفتة يتميّز بها قديسنا الذهبي الفم.

وهذه الدراسة قائمة على شروط الذهبي الفم الستة كما يشرحها ليس فقط في تفسيره للمزمور السابع، بل وفي كل شروحاته على المزامير. وفي هذه الدراسة قُسِّمَت هذه الشروط إلى قسمين اثنين: الشرطان الأول والسادس مختصان بالحياة والصلاة كشرطين لاستجابة الصلاة، والشروط من الثاني الى الخامس مختصة بمضمون الصلاة.

والقديس يوحنا الذهبي الفم يتكلّم عن كاتب المزامير باعتباره «النبي» وهو ليس إنساناً آخر سوى داود. وتشمل الشروط الستة الحياة بأكملها، وبكلمات القديس يوحنا فإنه لكي تتحقّق هذه

الحياة، فإنه لابد من أن يصحب المزمور القارىء في كل مستوى من مستويات حياته الشخصية. وحينما يُقدِّم داود باعتباره مؤلِّف المزامير ويرجع إلى الأحداث التي تَمَّت في سيرته ليشرح هذه المزامير، فإنّ الذهبي الفم يُقَدِّم داود للقارىء باعتباره شخصاً حقيقياً يتحدث عنه. وهو بهذا يوفِّر لنا تعمُّقاً في نصوص المزامير أكثر مما تَعوّدنا عليه من تفاسير المزامير.

الحياة والصلاة معاً لضمان استجابة الصلاة

لكي نستحق أن ننال استجابة لصلواتنا، فهذا يتطلب بالضرورة أن نعمل كل ما في وسعنا. وهذا يعني: طريقة الحياة، ووضع الصلاة، ما يجعل اللّه مُنصتاً لصلواتنا. ويعتبر القديس يوحنا الذهبي الفم داود أنه بالدرجة الأولى المعلِّم لهذه الأمور. فهو ليس فقط مستحقاً لاستماع اللّه له، بل هو أيضاً جديرٌ بأن يكون قدوة للآخرين.

الاستحقاق في الصلاة:

حينما يتحدث الذهبي الفم في «شرحه لمزمور ٧»، عن تعقّب أبشالوم لداود، يضع تأكيداً على رد فعل داود لهذه الضيقة، حيث تظهر شخصية الرجل بوضوح. وحتى بعد أن قَتَلَ أبشالوم أخاه، يقول الذهبي الفم إن داود عامَلَ ابنه برفق، ثم بالرغم من أن أبشالوم انقَلَبَ حينئذ على أبيه واضطره إلى الهرب خوفاً على حياته، فإن داود يظل يقول لجنوده: «ترَفّقوا لي بالفتى أبشالوم» (٢صم١٨:٥). وحينما بلغ داود خبر مقتَل أبشالوم صرخ باكياً منزعجاً: «يا ابني يا ابني أبشالوم، يا ليتني مُتُّ عِوَضاً عنك ...» (٢صم١٨:٣٣). لقد عانى داود عداءً شديداً على يدي ابنه، ويعلِّق القديس يوحنا الذهبي الفم بأن داود تألَّق كالذهب في بوتقة الانصهار، إذ صار أكثر نقاءً بسبب هذه المحنة القاسية.

ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم في عزلة داود وضعفه الواضح نموذجاً لانتصار الفضيلة على الرذيلة، لأن الفضيلة ـ كما يقول الذهبي الفم ـ يقف اللّه لها حامياً ومعضداً. ويحُثّنا أن نقتدي بهذا المثال الذي يُقَدِّمه داود بكلماته في المزمور: « ربي وإلهي عليكَ توكّلتُ فخلِّصني ..» (مز٧:١) (بحسب النص في شروحات الذهبي الفم). وهذه النصيحة التي يُسديها لنا الذهبي الفم تربط بين الحياة والصلاة.

وتتضح فضيلة حياة داود العالية من بدايات مُلْك داود. ففي (٢صم٧:١٤-١٦) يُعلن الرب أنه سَيُثَبِّت مملكة داود إلى الأبد، وسوف يُؤدِّبه إن أخطأ، ولكنه لن ينزع رحمته منه كما نزعها من شاول الملك.

ولكن إن كان الذهبي الفم قد أوضح أن حياة الفضيلة العالية ضرورية لحياة الصلاة الناجحة، فماذا يا تُرى قال عن خطية داود العظيمة مع بَتْشيبَع ؟ لا شكَّ أن كلامه ذو أهمية وحاسم لنفهم تعليمه عن علاقة الخاطىء باللّه وفرصته في الصلاة الناجحة.

القديس بولس يُلهم الذهبي الفم شرح رسائله ، والقديس بروكلوس يعاين ويشهد لهذه الرؤية العجيبة.

وفي الشروحات كما هي متاحة لنا اليوم، يرجع القديس يوحنا الذهبي الفم إلى مرجعَين في هذا الموضوع. ففي شرحه على مزمور ٦ يقول إن داود ارتكب خطية القَتل، إلاَّ أنه اختبر «محبّة اللّه للبشر Philanthropia ». وفي شرحه على المزمور ٤ يتكلّم عن المعاناة القاسية التي أصابت داود بسبب شهوته الآثمة.

ويُقَدِّم القديس يوحنا الذهبي الفم تعليقاً مطوّلاً على هذه المسألة في «عظاته على إنجيل متى ـ العظة ٣٦» ، حيث يصف ارتكاب داود للزنا والقتل بأنه «**مرض**»، تفاقَم سُوءُه بسبب حقيقة أنه لم يكن فقط رجلاً فاضلاً؛ بل أيضاً نبيّاً. لكن الذهبي الفم يعود فيُؤكِّد على «سرعة تماثل داود للشفاء» من مرضه، لأنه لم يستغرق في اليأس بل تاب، وعادَ طاهراً مرّة أخرى. وفي موضعٍ آخر يصف طريقة داود في التوبة بأنها:

﴿بالاتضاع، وندم القلب، وبتأنيب الضمير، وبعدم الرجوع لهذا السقوط مرّة أخرى بتذكّرها دائماً، وباحتمال كل ما يأتي عليه بالشكر، وبالرفق بمن يحزنونه، وبالامتناع عن الحُكم على الذين يتآمرون ضده، إلى حدِّ مَنْعه الذين كانوا يريدون أن يفعلوا هذا.﴾.

ونجد في المزامير التي شرحها القديس يوحنا الذهبي الفم برهاناً على كل ذلك. فكما رأينا، فإنّ سلوك داود تجاه أبشالوم برهان على الامتناع عن مجازاة خصومه. أما عن احتماله بشكر ما يأتي عليه، فإننا نجد ذلك في مزمور ٧ حينما يقول: «سأشكر الرب حسب برّه،وسأرنّم لاسم الرب العليّ» (مز٧:١٧). ويقول الذهبي الفم إنّ داود باستخدامه هنا صيغة المستقبل («سأشكر» ، «سأرنّم») يشير إلى أنه لم يَنسَ أعمال اللّه الصالحة التي نالها ولا هو صار كسولاً، بل كان صاحي العقل يَقِظاً لإحسانات اللّه معه.

الجزء الثاني في العدد القادم

العشرة الرديئة تُفسِد الأخلاق الحميدة

لا تَصحَب الكسلان في حاجاته

كم صالحٍ لفسادِ آخَرَ يفسدُ

عَدوى البليد للبَليد سريعة

والجمرُ يوضَع في الرمادِ فيخمدُ

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور (٢٤)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

٦) النساطرة ـ The Nestorians :

عَلَّم نسطور الذي ظهر في الكنيسة الأولى أنَّه بما أنَّ مريم أم يسوع كانت ذات طبيعة بشريّة، فلا يمكنها أن تكون أُم اللّه الثيوطوكُس Theotokos، إنها والدة الطبيعة البشريَّة فقط للمسيح ومن ثمَّ فهي تكون أُم المسيح فقط Christotokos فالطبيعة الإلهيّة اتَّصلت بالطبيعة البشريّة أثناء الحَمْل، وبناء عليه يصبح يسوع بطبيعتين منفصلتين مرتبطتين معاً كالزيت في الماء، هما معاً ولكن لا زالا منفصلين.

أمَّا الكنيسة فقالت لنسطور وأتباعه: «لا»، واتهمته بأنه يَقسم المسيح إلى شخصين، ومن ثمَّ فقد صاغَ مجمع أفسس سنة ٤٣١م إجابة على نسطور لا زالت موجودة إلى الآن كتعريف تقليدي ممتاز بخصوص أن اللّه صار إنساناً في شخص يسوع، وتتضَمَّن الصياغَة أنَّه لا يجب أن نفكّر في يسوع فيما بعد كشخصين إلهاً وإنساناً، مثل الرواية التي تحكي عن فرد واحد له شخصيّتان أحدهما شرّير والآخر خَيِّراً وهما جيكلي وهايد ـ Dr. jekly-&-Mr.-Hyde ـ لقد صارت في المسيح حياة واحدة غير منقسمة، شخص واحد من طبيعتين إلهيّة وإنسانيّة. ولكي يَصف الآبـــاء هذه العلاقة بين الطبيعتين. فإنّهم وضعوا أربعة صفات مُحَدَّدة وهي: بغير اختلاط، ولا تغيير ، ولا انقسام، ولا انفصال بعد الإتحاد. يقول د. كنت إس. نوتسون Dr. Kent S. Knutson «إن المسيح إله وإنسان بطريقة لا يَدَّعي مجمع أفسس أنه يطلب من أحد أن يَعرف «كيف» أن الألوهة أو الإنسانيّة تغيَّرت أو تلاشت في وجود الآخر. كلٌ باقٍ على ما هو عليه، وليس بطريقة يمكن لأحد أن يدَّعي أنه يُمَيِّز بينهما بعد «الإتحاد».

يقول الآباء ما هو مضمونه إنَّنا نؤمن بابن واحد هو نفسه ربنا يسوع المسيح، كامل في ألوهيّته وكامل في إنسانيّته. إله حق وإنسان حق، مساوٍ للآب في الجوهر وواحدٌ معنا في الجوهر، مسيح واحد، ابن ورَب وابن وحيد، من طبيعتين غير مُختلطتَين ولا مُنقسمتَين ولا مُنفصلتَين ولا مُتحوِّلتين.

إن التعليم بأن يسوع إله مُتجسِّد لا يعني أنه عبارة عن جسد بَشري فيه الذّات الإلهيّة بدلاً من نفس الإنسان العاديّة، ولكنه يعني أنه إنسان حقيقي له جسد حقيقي ونفس حقيقيّة، هذا الإنسان إتَّحَدَ مع الأقنوم الثاني الكلمة في الثالوث ليصير شخصاً واحداً.

ما يجب أن نضعه في ذهننا هو أن الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهيّة في يسوع إنما هما يخصَّان شخصاً واحداً، ابن اللّه الأقنوم الثاني في الثالوث. إنهما طبيعتان متميِّزتان وليستا طبيعة واحدة، ولكن آلت هاتان الطبيعتان لتكونا شخص يسوع المسيح الواحد، فالطبيعة الإلهيّة لم تبتلع الطبيعة البشرية، فهو شخص واحد له طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ، أي يسوع المسيح الإله الأنسان.

أمَّا بخصوص كيف يكون هذا ممكناً، كيف يمكن أن تصير طبيعتان في شخص واحد، فهذا سوفَ يظلّ سرّاً من أسرار اللّه، وإن كان يمكن توضيحه جزئيّاً بأمثلة، على أنه يجب أن نتذكّر أن جميع الأمثلة هي ناقصة.

لنفترض أن أباً يلعب كرة مع ابنه، وبينما هما يلعبان، فإننا نجد أن الابن يلعب بقدر ما يمكنه بحسب مُستوى عمره، ونجد أن الأب يُلْقي بالكرة بحسب سرعة الطفل وإلى مسافة يمكن للطفل أن يصل إليها، ثمّ يحاول الأب أن يتظاهر بالوقوع والإبطاء والجري بسرعة تبلُغ بالكاد سرعة الطفل حتى يجعل الوالد ابنه سعيداً بالمباراة. نلاحظ هنا أن الأب لم يفقد شيئاً من قدرته، وإنَّما فقط يُفرغ ذاته أو يُخليـــها من قدراتها من أجل الابن. هكذا كان الأمر تماماً مع اللّه الذي صار إنساناً في يسوع. إنه لم يفقد شيئا من قدراته الإلهيّة، وإنما فقط «أخلى ذاته» ذاته مُؤقتاً من أجلنا ليحوي طبيعتنا.

من تفسير قانون الإيمان للقديس كيرللس الإسكندري

فالمسيح لم يُعرَف أنه إنسان أولاً وبعد ذلك تقدَّم ليصير إلهاً، بل إن الكلمة، إذ هو اللّه، صار إنساناً، لكي في نفس الكيان يُعرَف هو نفسه الإله والإنسان معاً. إلاّ أن أولئك الذين يقسمونه إلى ابنين ويجسرون أن يقولوا إن اللّه الكلمة اتصل بالإنسان الذي من نسل داود وأعطاه نصيباً في استحقاق وفي كرامة وفي رتبة البنوّة، وأعدْه ليحتمل الصليب، وليموت، ويقوم ثانية، ويصعد إلى السماء، ويجلس عن يمين الآب، لكي يُعبَد من كل الخليقة، وينال الكرامات بواسطة إرتباطه باللّه، هؤلاء أولاً يكرزون بابنين، وثانياً بجهل يقلبون معنى السرّ. لأنه ، كما قلت، إن المسيح لم يَصِر إلهاً من إنسان بل إذ كان الكلمة هو اللّه فإنه صار جسداً أي إنساناً.

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الفصل العاشر:

أبرار العهد القديم إنتظروا نهاية الأحداث.

راعي الخراف العظيم ربّنا يسوع المسيح

الفصل العاشر

أبرار العهد القديم انتظروا نهاية الأحداث.

١٩ ـ قل لي وماذا عن يوسف ؟ ألم يتعرّض يوسف أيضاً لأمر مماثل ؟ فقد أخذ وعداً عظيماً، لكن الأحداث جاءت مناقضة لما قيلَ له. فقد رأى في حلم أن إخوته يسجدون له وعبّرت له النجوم والسنابل عن ذلك في حُلمين، لكن جاءت الأحداث مناقضة لما قد رآه (في الأحلام).

٢٠ ـ فقد قامت ضده حرب قاسية في بيت أبيه وحلَّ إخوته رُبط الأخوّة وكسروا قوانين الطبيعة ونظامها، وصاروا بعد أحلامه معاندين وأعداء له بأكثر وحشية من الذئاب. وكما تفتك الحيوانات الموحشة (بفريستها) ، هكذا نصبوا له فخاخاً كل يوم (ليفترسوه).

٢١ ـ وكان مصدر هذه الحرب **الحسد المملوء جنوناً والحقد الظالم والغضب المشتعل**، وهكذا كانت تفوح منهم رائحة قتل كل يوم، وكانت الغيرة تُؤجّج هذا الأتون وتُلهب النار. وإذ فشلوا في إيقاع الأذى به طالما أنه يعيش في البيت ويقيم مع والديه، فهاجموا المكانة التي كان يتمتّع بها، فدبّروا له سمعة رديئة ووضعوا عليه اتهامٌ كريه مُريدين هكذا تدمير الحب الذي كان يكنّه له أبوه فيقع بأكثر سهولة في فخاخهم.

٢٢ ـ ثم جذبوه بعيداً عن عيني والده، وإذ هو آت إليهم بالطعام يَطمَئن عليهم ، قابلوه (بغَدر) ولم يبهجهم سبب زيارته لهم ولم يحمّروا خجلاً أمام الطعام الذي أحضره أخوهم، بل سنّوا سيوفهم واستعدّوا لقتله وصاروا كلّهم قَتَلة أخيهم (بالنيّة)، ولم يمكنهم أبداً أن يتهموا من هم مزمعين أن يقتلوه باتهام خفيف أو ثقيل (يستوجب حكمهم عليه). لكنه بفضلهم صار مكللاً وانتشر اسمه من قِبَل الذين حسدوه وقاتلوه وافتروا عليه.

٢٣ ـ أما بالنسبة له فهو يحيد عن رفقتهم بل في موقف حرج كهذا أظهَرَ مشاعر أخوية حسَنة. وهم استعدوا لإخفائه ـ علىَ الأقلّ بالنسبة لهم ـ وخَضَّبوا أيديهم بالدماء وأتَمّوا قتلهم له (بالنيّة).

٢٤ ـ لكن غنية هي طُرق حكمة اللّه وإمكانياتها وَسط المواقف المعقّدة، إذ خلّصته من الجبّ وأنقذته من رحلة الموت وانتزعته من الأيدي القاتلة. في الواقع أن أحد إخوته نصح بعدم قتله، لكن اللّه هو الذي ألهمه بهذه الفكرة وهو الذي منع ذبحه. ولكن هذا لم يكن نهاية الأهوال بل قد استؤنفت من جديد. وحيث أنهم قد مُنعوا عن قَتله، فإن قلبهم كان لا يزال يغلي وغضبهم كان في قمته وتموّج سخطهم كان شديداً فأعطوا لهذا الغضب شكلٌ آخر.

٢٥ ـ فعَرّوه من ملابسه وربطوه ورموه في الجب ثم جلس هؤلاء القساة القلب ـ كالحيوانات المفترسة ـ يأكلون من الطعام الذي أحضره لهم. هو كان في الجب في رِعدة عظيمة، أما هم فكانوا يأكلون ويمرحون.! ولم يكتفوا بهذا الجنون، إنما إذ رأوا البرابرة الذين تركوا بلادهم ذاهبين إلى مصر، أخرجوا أخاهم وباعوه، وبهذا دبروا له موتاً بطيئاً قاسياً مملوءاً آلاماً.

٢٦ ـ تخيّل معي مشاعر يوسف الذي كان صغير السن، وقد تَربّى في بيت أبيه في حريّة كاملة بلا خبرة في حياة العبودية ولا في المعاناة التي تترتب عليها، يصير فجأة عبداً بدلاً من أن يكون حرّاً، وغريباً بدلاً من أن يكون صاحب المكان محتملاً أسرأ معاملة يمكن أن تحدث لأسير حرب. ولا يقف الأمر عند احتماله آلام العبودية، لكن يصاحبها آلام فراق أبيه وأخيه الأصغر بنيامين (حرفياً فراق أمّه) وكل أقاربه مع العري والتغرّب بلا منزل ولا مدينة، مُسلَّماً للعبودية في أيدٍ بربرية !.

٢٧ ـ ألم يكن يكفيه هذا ليمتلىء اضطراباً: تراكم المحن، المفاجأة في الموقف، خيبة الأمل، قسوة التجربة التي هي من صنع أيدي إخوته المحبوبين لديه والذين لم يسيء إليهم في شيء، بل على العكس أحسَنَ إليهم. لكن لا شيء من هذا جعله يضطرب مع أنه تكبّد مثل هذه المعاملة (الشرسة)، ومضى مع التجار متنقلاً من عبودية إلى أخرى.

٢٨ ـ إن يوسف صار عبداً، وأقام في بلد بربريّة مع أنه عبراني حرّ المولد وحريّته كانت مضاعفة، إذ كانت لَه حريّة الجسد وحريّة النفس. إنه لم ينزعج أبداً، ولم يُعثر على الإطلاق لما حدث له، لأنه كان يتذكّر دائماً الأحلام التي أعلنت له عكس الواقع الذي يجابهه الآن، ولم يتساءل بطريقة فضولية: ما الذي يحدث ؟

٢٩ ـ أما الذئاب والحيوانات المتوحشة، قتلة أخيهم، فبعد أن أتموا هذه الجرائم (في حقّ أخيهم) عاشوا في حياة هنيئة في بيت أبيهم. أما يوسف المختار لكي يملك عليهم صار عبداً وسجيناً يباع ويُشترَى في أيدي الغرباء، وعانَى آلاماً مُريعة، ليس فقط بعدم تسلّطه عليهم، بل كونه صار عبداً لهم وذاق تجارب مناقضة للوعد تماماً، لأنه ليس فقط لم يحصل على المملكة، بل حُرِم أيضاً من وطنه وفقد حريّته ورؤية أهله.

٣٠ ـ لم تتوقّف حروبه عند هذا الحدّ، بل انفتحت له هوّة أعمق تفوح منها رائحة موت وقتل، موت بغيض وقتل ممتلىء خزي. فقد نظرت إليه زوجة فوطيفار نظرات أثيمة. لقد أسرها جمال الشاب واستعبدها منظره المنير، فكانت هي بالتالي تدبر له خديعة وفخاخاً.

٣١ ـ بعد أن نصبت له كل شباك خلاعتها من كل جانب، كانت كل يوم تتربّص بالشّاب لتقتنصه في شباكها وتُسقطه في الزنا وتسلّمه إلى موت أبدي. وكانت كل يوم تخرج لتبحث عن فريستها وقد وخزتها الشهوة وحبّها الأثيم. رأته ذات مرّة بمفرده وسعَت إلى اجتذابه بالقوّة إلى فراش الخطية وإرغامه على الإلتصاق بإمرأة غريبة وحاولت تدنيس فضيلته.

٣٢ ـ لكن مع هذا لم يُعاني البار أي ضرر ولا أسر الشهوة ولا حميّة الشباب، ولا من شَرّ سيّدته التي نصبت له الفخاخ وهاجمَته بغير حياء، والهيجان المغروس في الشباب وكل ما يُرَغِّب في الإقتراب إلى هذه المرأة من منظرها وغواياتها، لكنه خرجَ من هذه الظروف جميعها يفيض هدوءاً كالنسر الباسط جناحيه يرتفع بهما عالياً تاركاً ملابسه في الأيدي المتجاسرة. ترك ملابسه وهو عريان ولم يكن يكتسي إلاّ بفضيلته البهيّة والتي كانت أكثر لمعاناً حتى من الرداء الأرجواني.

٣٣ ـ ثم عادت فأشهرت سيفها ثانية وتهيّأ الموت (لابتلاعه). ارتفعت الأمواج عالية، واشتعلت شهوة المرأة المجنونة بنار تفوق أتون بابل، والتهبت رغبتها وثار غضبها وقسوتها المخيفة في وحشية بالغة، وأرادت قتله. فأسرعت للسيف واشتهت له موت الخزي وتاقت إلى إهلاك بطل الفضيلة وبطل الصبر والجهاد.

٣٤ ـ اندفعت نحو زوجها واشتكت دون أن تروي له حقيقة الأمر، وإنما مَثّلَت أمامه مسرحية وشاياتها، وأقنعته بما أرادت. اتهمت غريمها بحجة أنها «**أُهينَت**» وطالبت بالإنتقام. وكدليل على ما قالته، قدّمت بين يديها النجسة ثياب الشّاب البريء.

٣٥ ـ لم يسمع القاضي الفاسد للمتهم، ولا ترك له مجالاً للدفاع، بل أدان ذاك الذي لم يَرَ حتى المحكمة كما لو كان قد ضُبطَ متلبساً بفعلته، واقتنع بإثمه كأن هذا الشاب قد اعتاد الزنا، فرماه في السجن وسلّمه إلى القيود. وذاك الذي كان مكللاً بأكاليل الفضيلة هذه، صار منذ الآن في السجن مع المجرمين ولصوص المقابر والقَتَلة، مع الذين يمكنهم أن يقتلوه.

٣٦ ـ لكن لا شيء من كل هذا جعل يوسف يضطرب.

يوسف الصديق يُلقى بالبئر
وكان مصدر هذه الحرب الحسد المملوء جنوناً والحقد الظالم والغضب المشتعل، وهكذا كانت تفوح منهم رائحة قتل كل يوم.

ترك يوسف ملابسه وهو عريان ولم يكن يكتسي إلا بفضيلته البهيّة والتي كانت أكثر لمعاناً حتى من الرداء الأرجواني.

أحد الذين أساءوا إلى الملك أُطلقَ سراحه (ساقي فرعون)، لكن ظلّ هو محبوساً لوقت طويل محتملاً أسوأ العقوبات لأجل أشياءً ستجعله جديراً بالأكاليل والشهرة. وفي هذا كلّه لم يضطرب يوسف ولا تعثر. لم يَقُل في نفسه: ما هذا؟ لماذا ذاك؟ أنا الذي كان ينبغي لي أن أملُك على إخوتي، لكنني لم أُحرَم من هذه الكرامة فحسب، بل وحُرمتُ أيضاً من وطني وأهلي وحريّتي وهدوئي، والذين كان ينبغي أن يسجدوا أمامي قد أبعدوني (من طريقهم).

٣٧ ـ ثم بعد محاولة قتلي باعوني وصرتُ عبداً للبرابرة يتبادلني سيّد بعد آخر، ولم تتوقف بلاياي عند هذا، بل من كل جانب أجد هوّة سحيقة وحجارة أتعثّر بها. فبعد الفخ الذي نصبه لي إخوتي، كانت محاولة القتل والعبودية الأولى والثانية والتصق بي الموت من جديد، ثم صادفني افتراء أكثر بشاعة من الأول، ثم مؤامرة، هجوم، محكمة فاسدة، اتهام مملوء بالخزي يجتذب لي الموت.

٣٨ ـ ودون أن يُتاح لي الدفاع عن نفسي أُلقيت بمنتهى البساطة في السجن، وهأنذا أحيا وراء القضبان مع الزناة والقتلة ومن اجترأوا على اقتراف أسوأ من هذه الجرائم. إن ساقي الملك قد انتُزع من وراء القضبان، أما أنا فلا أستطيع حتى أن أنعم مثله ببعض الهدوء. بالنسبة له قد تحقق حُلمه بحسب تفسيري له، أما أنا فإنّني أحيا في آلام لا تُطاق.

٣٩ ـ هل هذا هو ما أظهرته أحلامي ؟ هل هذا هو عدد النجوم الكثيرة ؟ هل هذه هي حُزَم السنابل ؟ ما الذي فيها من أمور معلنة ؟ ما الذي فيها من وعود ؟ هل خُدعتُ وَضُلِّلَ بي ؟ كيف يمكن لإخوتي أن يسجدوا لي وأنا عبدٌ سجين وإنسان مُقيَّد ويُظَن إنني زاني وتعرّضت لأسوأ المخاطر ومطرود بعيداً عنهم. كل هذا عبرَ وتلاشى !

٤٠ ـ لم يَقُل يوسف هذا ولا فكّر فيه، إنما انتظر النهاية وعَرَفَ غنَى طُرق اللّه وإمكانيات حكمته الفيّاضة، وليس فقط لم يعثر بل أيضاً تهلّل وقَبِلَ برضَى كُل ما حلّ به.

٤١ ـ قل لي ألم يتعرّض داود لأكثر البلايا إيلاماً بعد أن مُسحَ مَلكاً ونال السلطان على شعب العبرانيين بإرادة اللّه وبعد أن انتصر على البرابرة (جليات وجيشه الفلسطيني) وكَسَرهم ؟ ألم يَشن عليه شاول حرباً وصار هدفاً لمكائده، بل وصارت حياته في خطَر، وأُرسل إلى الأعداء الألداء، وطُرِدَ إلى البريّة تائهاً ومنبوذاً بغير مأوى وَلا مسكن ومنفياً ؟

٤٢ ـ ولماذا نقول المزيد من هذا ؟ ألم يُطرَد في النهاية من وطنه

تماماً وعاش عند الأعداء البرابرة واحتمل حياة العبوديّة المؤلمة وكان ينقصه القوت الضروري. وكل هذا عاناه داود بعد مجيء صموئيل النبي وبعد مَسحه بالزيت وبعد الوَعد بالمُلك ونواله القضيب والتاج، وبعد اختيار اللّه له وبعد قراره المأخوذ في هذا الموضوع.

٤٣ ـ لكن مع هذا لم يعثر داود بل ولم يَقُل: لماذا هذا ؟ وأنا الملك الذي سأنعم بمثل هذا السلطان، أفلا أقدر حتى أن أعيش كإنسان عادي؟ هأنذا تائه مَنفيّ بلا مدينة ولا مأوى، مطروداً في بلد بربريّة، ليس لي حتى القوت الضروري ووسط أسوأ المحَن، وأرى الخَطَر يُحدقُ بي كلّ يوم ! أين الوعد بالمُلك ؟ أين الإعلانَ بنوالي السلطة ؟! لم يَقُل داود هذا ولم يفكّر أبداً في شيء من هذا ولا تعثّر بسبب الأحداث وإنما انتظر هو أيضاً تحقيق الوعد.

٤٤ ـ نستطيع أن نذكر كثيرين آخرين حلّت بهم صعابٌ مماثلة ولم يتأثّروا بل تمسّكوا بكلمة اللّه، حتى وإن كانت الأحداث تأتي بما يناقض الوعود. وبصبرهم العجيب صنعوا لأنفسهم أكاليل مضيئة.

وأنتَ يا عزيزي انتظر النهاية، فبالتأكيد ستتحقّق لك المواعيد في هذا الدهر والدهر الآتي. تَقَبَّل عناية اللّه غير المُدرَكة تحت كل الظروف ولا تَقُل: كيف تصادفني كل هذه الخسائر ؟ ولا تَسعَى لفَحص طُرق أعمال اللّه العجيبة.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦٦)

الفصل السابع

إنقسام المملكة إلى مملكتين (٩٣١ ق.م.)

إتسعت المملكة في حكم سليمان ولكن بعد موته مباشرة هَبَّت عواصف التمرّد بشدّة تَلطُم وحدَة المملكة واشتعلت الحرب الأهلية وظهر التصدّع في كيان المملكة مما أسرَعَ بتمزّقها إلى مملكتين إحداهما في الشمال وضمّت عشرة أسباط وسُمِّيَت مملكة إسرائيل، والأخرى في الجنوب وضَمّت إليها سبطين وسُمِّيَت مملكة يهوذا، وبهذا الإنقسام إنتهت مملكة داود العظيمة القوية والموحّدة (١مل١٣).

الحوادث بين سفرَيّ أخبار الأيام والملوك:

لاشكّ أن كاتب قصة المملكة الموحّدة كان معاصراً لأحداثها (١مل ٢-٣) ويُظَنّ أنه أخيمعص بن صادوق الكاهن (٢صم ١٥: ٢٧) أو إبيتار الكاهن، وفي سفرَيّ الملوك يختلف سرد الحوادث عنه في سفري الأيام من عدة أوجه.

الحوادث في سفرَيّ الملوك:

يسجّل السِّفرانَ تاريخ الأمة الإسرائيلية وحياة ملوكها على مدى أربعة قرون فينتقل من ختام مملكة داود ونهاية حُكمه إلى الحُكم الذهبي لسليمان والذي نال حظاً وافياً في السرد إلى التصدّع في المملكة حتى إنقسمت إلى مملكتَيْن، ثم ينتقل إلى سقوط السامرة وإنتهاء المملكة الشمالية وينتهي بكارثة السبي إلى بابل، والسِّفر يَذكُر حياة الملوك الذين أتوا بعد الإنقسام ولأن هدفه ديني لذلك إهتمَّ بذكر علاقة الملوك بالعبادة وأعطَى وصفاً تفصيلياً عن النبيين العظيمَيْن إيليا وأليشع، وأن النتيجة المباشرة لضعف الأمة وإنهيارها هو إنحلال نسيجها الديني وتزايد ضعفها الروحي ، فالكارثة السياسية والإقتصادية التي حدثت في كلا المملكتَيْن سبقها الإنحلال الديني لذلك إنتهت المملكتان إلى الخراب، فالعبادة النقيّة وحفظ وصايا اللّه هو أساس إزدهار الأمة وأساس حياة الإنسان وسعادته، فاللّه ليس منفصلاً عن الإنسان بل هو يتدخّل بمعاملاته في حياة الناس وهو سيّد التاريخ.

الحوادث في سفرَيّ الأيام:

في سفرَيّ الأيام يسجل الكاتب الحوادث بعد أنتهاء فترة السبي (ربما كان ذلك نحو سنة ٤٠٠ ق.م.) فهو يكتب لأولئك الذين سبقوا وعرفوا الأسفار السابقة، فلم يكن بحاجة إلى أن يكرّر إلّا ما يتفق معه في الهدف من كتاباته، وكان نهجه أن يتبع أراء سياسية خاصة داخل إطار تاريخي، لذلك إهتَمَّ بفكرتين هما العبادة الحقيقية والمملكة الحقيقية في الأمة الإسرائيلية، وعلى هذا لا يذكر الكاتب إلا القليل عن حياة داود ويسرد بالتفصيل الإستعدادات التي قام بها لتشييد الهيكل، وبعد أن حدث الإنقسام في المملكة يسير متتبعاً مصير الملوك المنحدرين من نسل داود متجاهلاً المملكة الشمالية وهو في تقديمه لسلسلة الأنساب (١مل ٩،٨) نراه يركّز على الأسباط الجنوبية يهوذا وبنيامين، وفي تناوله لسبط لاوي الكهنوتي عزاء لأولئك الراجعين من السبي وهم بقيادة عزرا ونحميا ، شاعرون في بناء أورشليم وإعادة تشييد الهيكل.

تاريخ الإنقسام في المملكة:

لم تكن فكرة إنقسام المملكة إلى مملكتَيْن فكرة طارئة أو حدوثها كان مصادفة، لكنها منذ سنوات طويلة سبقَت الإنقسام، كانت تراود القسم الشمالي للمملكة، فكانت بذور الإنقسام قديمة، وهيّأت الظروف الداخلية والمناخ الخارجي جواً ترعرعت فيه ، فنَشَطَت دوافع الإنقسام في نفوس الثائرين، وسوف ندرس هذه الدوافع ونتائجها.

صلاة السود

كانت فتاة من السود تصلّي الى اللّه بانتظام مدّة طويلة، فسألها أحدهم هل تظنين أن اللّه يرى صلاة السود ؟؟ فصمتت قليلاً وقالت: «**إنه أبي إنما كنتُ أصلي لأذنيه لا لعينيه**».

فليُضِئ نوركم

«فليضئ نوركم هكذا قدّام الناس، لكي يَروْا أعمالكم الحسنة، ويُمَجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥:١٦).

«بلا لوم وبسطاء، أولاداً للّه بلا عيب في وسط جيل مُعَوَّج ومُلتَوٍ، تُضيئون كأنوار في العالم» (فيلبي ٢:١٥).

تقديم: المسيحية هي المسيح:

تمتاز المسيحية بأنها لا يمكن فَصلها عن مؤسِّسها ، فالمسيحيّة هي المسيح، إذ لا يمكننا أن نتصور إنساناً مسيحياً حقيقياً بدون المسيح. فشخصية المسيح وحياته وأعماله هي حجر الزاوية في سلوك أتباعه: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (أف٢:٢٠-٢١). إنه الألف والياء في الإنجيل ، ليس المكتوب فحسب؛ بل أيضاً الحيّ المُعاش في بني البَشر. تقول إحدى الليتورجيات القديمة:

﴿نشكرك لأن اسم مسيحك قد دُعِيَ علينا، وهكذا صرنا معك واحداً ...﴾ .

فالمسيحي الحقيقي له فكر المسيح ومشاعره (١كو٢:١٦)، لأننا «أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه» (أف٥:٣٠).

المسيحيون هم المسيح فيما يحبون وما يعملون وما يقولون، فاسمهم في الواقع هو عنوان شاهد لما في قلوبهم. المسيحي دُعِيَ ابناً للّه، لأن المسيح الذي هو «ابني الحبيب الذي سُرَّت به نفسي» حالٌّ في قلبه وفي فمه وفي أعماله: «مَن سَقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح، فالحق أقول لكم: إنه لا يُضيع أجره» (مر٩:٤١).

مسيحيّو القرون الأولى كانت حياتهم شهادة للمسيح شخصيّاً وليست لمبادىء أخلاقيّة أو أدبيّة. فلم تكن المسيحية في بدايتها دستوراً أخلاقياً جديداً ينشره المسيحيون، بل شخصية جديدة هي المسيح. وكان موضوع حياتهم ليس تعاليم المسيح بل المعلّم نفسه. لذلك كان تبشيرهم بالإنجيل نابعاً من قلوب تكرّست لشخص المسيح الحيّ ابن اللّه فادي العالم الذي هو كفء لتوصيل روحه لكل البشر. وكما يقول المؤرخ «**جواتكن**»:

﴿لقد اعتقد الرُسل أنهم لو تمكّنوا من أن يملأوا قلوب الناس بالشكر الحقيقي على هبة الحياة في المسيح لتَجَلَّى سلوكهم الإنجيلي كنتيجة مباشرة لذلك﴾.

ولعلّه في ذلك كان متأثراً بالآية: «لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكرٌ به نخدمُ اللّه خدمةً مَرْضِيَّةً، بخشوعٍ وتقوى.» (عب١٢:٢٨).

وقد وَجد المؤرخون صلةً مباشرة بين سلوك آبائنا المسيحيين الأوائل وبين طقوسهم الكنسية، مثل المعمودية والعشاء الرباني والعبادة الطقسية بوجهٍ عام، تلك التي انبثقت بشكلٍ طبيعي من أخلاقياتهم. كما أنهم بينما كانوا في أورشليم يتبعون الطقوس اليهودية في العبادة في الهيكل والحياة اليومية، إلاَّ أن تقدُّمهم الروحي في السموّ عليها دَلَّ على صدق قول معلِّمهم: «ما جئتُ لأنقض بل لأُكَمِّل» (متى ٥:١٧). كما أن جماعتهم تميّزت بأنها **جماعة صلاة**. فالصلاة كانت هي المنبع والضَمان لوحدتهم وروح الأخوّة بينهم. ولقد بَرَزَ من هذا الطابع من الحياة **بذلُ ذات جماعيّ** لم يكن اتجاهه الحقيقي هو الرغبة في إنشاء بدعة إجتماعية، بل التضحية من أجل كل محتاج إلى معونة من أي نوع.

لقد عاش المسيحيّون مع بعضهم حياة عائلية سعيدة، فقد كان الأعضاء يُدعَوْن إخوة، وقد أعطت شركة المحبة المتعاطفة بينهم أمثلة حية من السخاء. وهكذا اتسع تدريجياً نطاق أُخوّتهم حتى شمل بلاداً وأقطاراً أخرى. وقد عُرفوا بـ «**التلاميذ**» و «**أهل الطريق**» و «**قديسين**».

وقد بَنى الرسول بولس رسائله على أساس حَثِّ قرّائها على الثبات في المسيح، ويمكن أن نلخِّص هذا المعنى في مبدأ واحد هو: «أَمَا تعلمون أنكم هيكل اللّه، وروح اللّه يسكن فيكم ؟ ... لأن هيكل اللّه مُقَدّسٌ الذي أنتم هو» (١كو٣:١٦-١٧). كما أن الفضائل العائلية والاجتماعية كانت سريعاً ما تظهر فيمن يصيرون مسيحيين : **محبّة الزوج لزوجته ، والزوجة لزوجها، ومحبة وطاعة وإكرام الأولاد لوالديهم، ومحبّة الأعداء والفقراء**، فكانوا يسلكون «كما يحق لإنجيل المسيح» (في١:٢٧).

خميرة نشيطة:

إن الانتشار السريع للمسيحية رغم كل العقبات والاضطهادات والظروف المضادة لَهُوَ أفضل برهان على صدْق قول الرب : إن ملكوت اللّه كحبة خردل صارت شجرة عظيمةَ، وكخميرة صغيرة اختمر بها العجين كلّه. وذلك لأن روحانية المسيحية ظهرت في سلوك المؤمنين دون أن يُجبَر أحد على اعتناقها، فقد سيّطرت على قلوب البشر بسبب التلاقي المبارك بين إرادة الإنسان الحرّة التي تعضدها النعمة مع مشيئة الرب التي نشتهي تحقيقها كل يوم بقولنا: «لتكن مشيئتك، كما في السماء (بين الملائكة والقديسين)، كذلك على الأرض».

ويعزو المؤرخ «**جيبون**» انتشار المسيحية السريع الى:

١) ـ الغيرة التي تأجّجت في قلوب المسيحيين. وقد اكتسبوها من روح المسيح الذي سكن في قلوبهم.

٢) ـ عقيدة خلود الإنسان التي لم تكن لدى الفلاسفة القدماء سوى أفكار غامضة عنها.

٣) ـ القوّات المعجزيّة التي أجراها مؤمنو الكنيسة الأولى.

٤) ـ سلوك المسيحيين الأوائل الذي اشتمل على أكثر الآداب التي عرفتها البشريّة نقاوةً.

٥) ـ وحدة الكنيسة ونظامها اللذين كَوّنا بالتدريج «ثَرْوَة مشتركة»، أي ملكوتاً غنيّاً بالروح ممتلئاً بالحب.

لقد تغلغل ينبوع القداسة الذي تَفَجَّر من المسيح في الحياة العملية لأشخاص لا حَصْر لهم، بطريقة لم تعرفها البشرية منذ خلقَتها وعجز المؤرِّخون عن أن يَصلوا إليها أو يسجِّلوها مع أنها جَدَّدت حياة شعوب بأكملها، ومع هذا فقد تَسَجَّلت في سفر الحياة عند الرب لكي تُكشَف في يوم الدينونة.

كانت فاعلية المسيحية في المؤمنين هادئة وعميقة في قلوبهم، ومع ذلك فقد استرعت أعمال النعمة الإلهيّة فيهم انتباه المؤرخين. فمن يستطيع أن يقيس العمق والعرض لكل تلك الخبرات المباركة للتسامح،وسلام القلب الداخلي،والثقة في اللّه،والحب للّه وللإنسان والاتضاع والوداعة والصبر والتسليم ؛ تلك الخبرات التي تفتَّحت كزهور الربيع في تربة القلب المتجدِّد بالإيمان منذ حلول الروح القدس على الكنيسة الأولى وإلى الأبد! مَن يستطيع أن يُحصي عدد الصلوات الملتهبة والتوسّلات التي رُفعت من المخادع والكهوف والصحاري وقبور الشهداء. في الليل الهادىء وفي وضح النهار، لأجل الأصدقاء والأعداء، لأجل كل طبقات البشر، وحتى لأجل المضطَهِدين القساة، إلى عرش المخلِّص ؟! كم تأصّلَت الحياة بجذورها في أعماق النفس البشرية وظهرت في سلوك المؤمنين الخارجي وأثّرت تأثيراً عجيباً في كل المجالات !

والسبب في ذلك واضح، وهو أن المسيحية تتميز بإمكانية وسهولة ممارسة الفضيلة والتقوى بمعونة نعمة المسيح: «لأنه ظهرت نعمة اللّه المخلِّصة لجميع الناس، مُعَلِّمة إيَّانا أن ... نعيش بالتعقُّل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر» (تيطس ١١-٢١٢:)، «وتفاضلت نعمة ربنا جدّاً مع الأيمان والمحبة التي في المسيح يسوع» (١تي١٤:٢٠) ، «لأنّ نيري هيّن وحملي خفيف» (مت١١:٣٠).

وأعلى مستوى من الحب للّه وللإنسان، الذي وضعت المسيحية أساسه، تظهر براهينه في سيَر أولاد اللّه في كل جيل، أولئك الذين تَكَلّمت أعمالهم بأكثر من كلامهم. إن أجمل المبادىء الأدبية لم تقدر أن تلد العالم ثانية ولا أن تغلبه، ولكن إنجيل المسيح قد فعل ذلك ولا يزال: «ثقوا أنا قد غلبتُ العالم» (يو١٦:٣٣)، «كُل مَن وُلد من اللّه يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا» (١يو٥:٤).

من كلمة المسيح وروحه، ومن حياته في الكنيسة وتملُّكه عليها؛ نَبَعَ وفاض نهرٌ من قوّة فداء وتقديس ومجد في قلوب الأفراد والعائلات والأمم على مدى تلك القرون العشرين، وسيظل ينبع حتى يصير اللّه الكل في الكل.

ونحن لا يُعوزنا أن نوَضِّح السلوك المسيحي في حياة الرسل والمؤمنين الأوائل المذكورة في الإنجيل وعلى الأخص سفر أعمال الرسل. ولكننا نريد أن نلمس هنا استمرار حياة المسيح في أولئك الذين وَلَدتهم الكنيسة للمسيح بقوة وفاعلية ونعمة الروح القدس سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وذلك بشهادة الفلاسفة وحتى الأعداء والوثنيين والأباطرة. وَسِيَر القديسين والقديسات ـ التي نحتاج إلى قراءتها والتأمّل فيها والاقتداء بها ـ قد جعلت الكثيرين يكتبون محاولين الاقتراب من أسرار هذه الحياة الجديدة على جنس البشر والمذهلة حقّاً بسبب القوة الإلهية التي فيها.

أنوار وسط جيل مُعَوّج ومنطوي:

يقول الفيلسوف «جوته Goethe »: «إنّ الصراع بين الإيمان وعدم الإيمان يظل هو الموضوع الجوهري والوحيد والأعمق لتاريخ العالم والبشرية الذي يخضع له جميع الناس». فإذا قارَنّا بين المؤمنين بالمسيح وغير المؤمنين، نجد أن المؤمنين كانت لهم جدِّية في أخلاقهم تباينت بشدّة مع الفساد الذي كان سائداً في القرون الأولى. لقد صَدَّت المسيحية الطائشين والشهوانيين، وفي نفس الوقت لم تتوقف عن أن تؤثِّر بقوة عجيبة في أعمق وأنبل الأذهان، كما أن ولَع الفقراء والمظلومين بالإنجيل شهد لقوّته المعزِّية والمجدِّدة، وهكذا كان المسيحيون يَشعّون بحياتهم الإنجيلية مثل كواكب عديدة وسط ظلمة خطايا البشر.

وفي وسط فساد حياة الوثنيين الكئيبة المظلمة فتح اللّه ينبوع القداسة والمحبة والسلام الذي ناله المسيحيون من معلِّمهم، فصار هذا القطيع الصغير ينبض بالحياء والرجاء، ملحاً للأرض ونوراً للعالم. كانوا فقراء في ممتلكات هذا العالم، ولكنهم امتلكوا الكنوز غير الفانية التي لملكوت اللّه. كانوا ودعاء ومتضعي القلوب ما أهّلهم أن ينالوا وعد الرب أن يرثوا آرض الميعاد، وبخضوعهم للرب غلبوا العالم، وبالتألُّم والموت معه ربحوا إكليل الحياة.

لقد أوضَح المدافعون عن الإيمان ـ ابتداءً ـ من كاتب الرسالة إلى ديوجنيتس حتى أوريجانوس وكبريانوس وأغسطينوس، بطرق مختلفة وقوية ـ تَفَوُّق الأخلاق المسيحية على الوثنية، وقد تأيّدت شهاداتهم تماماً بثمار المؤمنين العملية. ويقول أحد المؤرخين:

﴿ إذا قارَنّا الحالة الادبية لشعوب الكنائس الرسولية بأحوال اليهود والوثنيين المحيطين بهم، فكأننا نقارن بين واحة خضراء ذات ينابيع حَيّة وأشجار مثمرة، وصحراء قاحلة ليس فيها سوى رمال وأحجار. لقد كان السلوك اليومي للمسيحيين الأوائل عبارة عن شركة حَيّة مع المسيح في سعيٍ متواصل إلى تمجيد اللّه وخلاص الإنسان، فكثيرٌ من الفضائل الرئيسية مثل الاتضاع ومحبة الأعداء كانت غير معروفة قبل المسيحية؛ أما التقوى الإنجيلية فكان يمثِّلها الرسل مثل بطرس وبولس ويوحنا في نماذج مختلفة، فقد كانوا أقرب ما يكون إلى ما يستطيع الجنس البشري أن يُحَقِّقه من الكمال في عالم كله خطية: «بلا لوم وبسطاء، أولاداً للّه بلا عيب في وسط جيلٍ مُعَوّج وملتوٍ، تُضيئون بينهم كأنوارٍ في العالم (في٢:١٥)﴾.

كتب العَلاّمة ترتليان مُخاطباً الوثنيين في القرن الثالث الميلادي:

﴿لم يَقُل أحد ولا رأى ولا سمع أنه يوجد بيننا شيء له علاقة بجنون السيرك أو عدم حشمة المسرح أو وحشية ساحة الصراع (أو الملاكمة) أي التمرينات الباطلة في أرض المصارعات، فلماذا تهتاجون علينا لأننا نختلف عنكم فيما يتعلّق بمَلَذّاتكم ؟ إن عدم مشاركتنا في مَسَرّاتكم يجعلنا خاسرين حسب مفهومكم. نحن ننبذ ما يسُرّكم، وأنتم أيضاً لا تتذوّقون ما يفرحنا﴾.

ويقول الشهيد يوستينوس:

﴿إنهم يظنون أننا مجانين لأننا نعبد هذا المسيح الذي صُلِبَ تحت حُكم بيلاطس البنطي كإله، ولكنهم لو عرفوا سرَّ الصليب لَمَا قالوا ذلك، ولكن يمكنهم أن يعرفوه من ثماره (أي ثمار الصليب في المؤمنين). فنحن الذين عشنا في الفسق وكُنّا نخدم شهواتنا، نتلذّذ الآن بالعفة والأخلاق الطاهرة.

نحنُ الذين كُنّا نسير وراء السِّحر والشعوذة كَرَّسنا أنفسنا الآن للّه الصالح الأبدي. نحن الذين كُنّا نحب المال والممتلكات أكثر من أي إنسان، نُسَلِّم الآن ما عندنا بلا مقابل لأجل المنفعة العامة للكل ونُعطي كل محتاج. نحن الذين كُنّا نُبغض ونقتل بعضنا بعضاً، نُصَلِّي الآن لأجل أعدائنا. نحن الذين ما كُنّا نوافق على أن نشترك في المأوى مع الغرباء بسبب اختلاف عاداتنا، فإنّنا الآن ـ منذ مجيء المسيح ـ نعيش معهم، ونحاول برفق أن نهدّىء من روع الذين يضطهدوننا بحقد ويُبغضوننا بلا سبب، ونُقنعهم بأن يُعَدِّلوا حياتهم وفقاً لتعاليم المسيح السامية رجاءً في أن يُشاركونا في البركات التي نتمتّع بها والمذخرة لنا عند اللّه الضابط الكل﴾.

سنكسار الشهيد يوستينوس الفيلسوف المدافع

الشهيد يوستينوس الفيلسوف المدافع

نشأة الشهيد يوستينوس:

وُلد حوالي سنة ١٠٠م. في **فلافيا نيابوليس Flavia Neapolis** باليهوديّة وهي مدينة نابلس الحالية. كان أبوه برسكوس وجدّه باخويوس وثنيين من أصل يوناني، وقد تربّى في ظل الديانة الوثنية. ويروي بنفسه في كتابه «**حوار مع تريفون**» كيف انتقل من الفلسفة إلى المسيحيّة، وكان ذلك في مدينة أفسس في عهد **هادريان**. ثم طاف العالم على طريقة فلاسفة عصره مبشّراً بإيمانه، وسكن في روما في عهد **الإمبراطور أنتونان**، حيث استشهد في زمن ولاية **يونيوس رستكوس**، أي فيما بين سنة ١٦٣ وسنة ١٦٧م.

طلب المعرفة:

كان منذ حداثته يميل إلى التفكير العميق والبحث عن اللّه ومبدأ العالم. تتلمذ أولاً لأحد الفلاسفة الرواقيين أتباع الفيلسوف زينون، فلم تُشبع تعاليمه عقله. فانصرف عنه وتبع فيلسوفاً آخر من جماعة الرواقيين المشائيين الذي أخذ يساومه على أجر تعليمه، الأمر الذي دفع يوستينوس إلى الإزدراء به، ومازال يسعى في طلب المعرفة وإشباع عقله حتى اهتدى إلى أحد الفلاسفة الأفلاطونيين، فتعلّق به وأحبه.

على أن هذه الفلسفات كلها مجتمعة لم تكن لتشبع عقل هذا الإنسان العجيب وقلبه. فلم يكن له عقل متفتح وحسب، لكن كانت له روحٌ جائعة متعطّشة للنور والحق. وما هو جدير بالذكر أنه وهو في وثنيّته لم يكن متعصباً تعصباً أعمى لها، بل كان له العقل الذي يزن به الأمور، فقد كتب في دفاعه الثاني عن التأثر العميق الذي طبعه في نفسه رؤية الشهداء المسيحيين. قال: «في الوقت الذي كنتُ أستمتع فيه بمبادىء أفلاطون، وفي الوقت الذي كنت أستمع فيه إلى المصائب التي يكابدها المسيحيون، قلتُ لنفسي حيث أني رأيتهم لا يرهبون الموت حتى وسط الأخطار التي يعتبرها العالم مرعبة، فمن المستحيل أن يكونوا أناساً يعيشون في الشهوة والجرائم» . ولا شكّ أن مثل هذا القلب أهّله لقبول دعوة اللّه.

قصة إيمانه:

أما قصة إيمانه فهي قصة لقاء مع اللّه. فبينما كان يسعى وراء الوحدة حتى يتمكن من دون أن يرتبط بالأشياء الخارجية. وبينما كان مستغرقاً في تأملاته يسير على شاطىء البحر في بلده، قابله شيخٌ مهيبٌ يبدو على محياه الجاذبية والعذوبة، بدا كما لو كان فيلسوفاً وجد الراحة في فلسفته. حَيَّاهُ وأخذ يباحثه في شؤون الفلسفة، وبَيَّن له أن الفلسفة الأفلاطونية التي كان معجباً بها ناقصة، لا تأثير لها على حياته الأخلاقية. سأله يوستينوس في لهفة وتعجّب: «أين إذن أجد الحقّ إذا لم أجده بين الفلاسفة».

أجابه الشيخ: «قبل الفلاسفة بزمان طويل عاش في الأزمنة الغابرة رجال سعداء أبرار، هم رجال اللّه نطقوا بروحه وسُمّوا أنبياء. هؤلاء نَقَلوا ألى البَشر ما سمعوه وما تعلّموه من الروح القدس. كانوا يعبدون الخالق أب جميع الموجودات، وعبدوا ابنه يسوع المسيح، فأطلب أنتَ حتى تنفتح لكَ أبواب النّور».

قال له الشيخ هذا الكلام وتوارى عنه، ولا شكّ أن هذا الطريق الذي أرشده إليه ذلك الشيخ بكلامه كان هو أمل يوستينوس منذ شبابه. والآن بعد أن استمع يوستينوس إلى الفلاسفة تحوَّل إلى الأنبياء، بل إلى ذاك الذي هو أعلى من أعظم الأنبياء علوّ السماوات عن الأرض، الكلمة الأزلي الذي سيصبح يوستينوس منذ ذلك الوقت الشاهد الأمين له.

انكَبَّ يوستينوس على قراءة تلك الكتب التي أرشده إليها ذلك الشيخ المجهول، فتوصّل إلى أن الفلسفة المسيحية هي الوحيدة التي استطاعت أن تُشبع عقله، فآمنَ بالسيّد المسيح واعتمد. وبدأ منذ ذلك الحين حياة الفيلسوف الحقّة، كما يقول هو عن نفسه. وكان دائماً يعتبر أن الفلسفة الأفلاطونية هي بمثابة إعداد العالم الوثني لقبول المسيحية، وهكذا فإن يوستينوس كمسيحي لم يكفّ عن تقدير الفلسفة بل ظلَّ بعد إيمانه يرتدي زي الفلسفة، ولم يفعل ذلك هروباً من أن يظهر كتلميذٍ للمسيح، فهو يقول عن نفسه: «لقد

طرحتُ جانباً كل الرغبات البشرية الباطلة ومجدي الآن في أن أكون مسيحياً، ولا شيء أشتهيه أكثر، من معالي مجد العالم المسيحي».

كان سعيه الطويل الجـادّ بحثاً عن الحقّ سبباً في تقدير هذا الحقّ.

الشهادة للحقّ الإلهي:

لقد جَرَّب النضالات الفكرية المعاصرة، وهكذا إذ عرف المرض والعلاج كان مستعداً بصورة فائقة أن يكون ذا رسالة فعّالة، بل وأحد المعزّين الحقيقيين الذين تعلموا من خبرتهم الخاصة في الألم، كيف يعزي الآخرين. لم يَنسَ أو يتناسَى - ولو إلى يوم واحد - مسؤوليته العميقة التي ترتكز على الشهادة للحقّ، وكان شعوره هذا على السواء بالنسبة لليهود والوثنيين والهراطقة.

هكذا كرّسَ يوستينوس ذاته لنشر الديانة المسيحية والدفاع عنها، فذهب إلى روما حيث فتح هناك مدرسة، وكان يتخذ الفلسفة وسيلة للتبشير بالمسيحية والدفاع عنها، وكان يعقد مقابلات متكررة مع اليهود والوثنيين حيثما التقى بهم، وكذلك مع الهراطقة، وفي هذه المناقشات أظهر صبراً وثباتاً عجيبين.

أعماله الدفاعية:

أهم أعماله التي قدمها للمسيحية في ذلك الوقت دفاعَيْه الأول والثاني وحواره مع **تريفو Trypho اليهودي**.

لقد رفع دفاعه الأوّل (٦٨ فصلاً) والثاني (٢٥ فصلاً) إلى **الأمبراطور أنطونيوس بيوس** وأبنائه، ويرجّح أنه كتبه سنة ١٤٧م. إن لم يكن قبل ذلك. ودفاعه مليء بالشجاعة والكرامة والإنسانية. فقد كان اتجاهه في دفاعه هو عدم التوسل والخوف من القوّة الغاشمة، ويقول في دفاعه موجهاً الكلام **للإمبراطور أنطونيوس بيوس** : «أنتم تُدعَون في كلِّ مكان بيوس (تقياً)، حارس العدالة، صديق الحق، وستظهر أعمالكم إذا كنتم جديرين بهذه الألقاب. ولستُ أقصد من وراء ذلك أن أتملَّقَكُم أو أحصل منكم على إحسان ما. إني ببساطة أسألكم أن تعاملونا بقوانين العدالة المدققة المستنيرة وليس بمجرّد الحَدَس أو تحت تأثير خرافة تصدقونها بقصد إدخال السرور على الناس، فإنّ هذا يدينكم».

وإذ كان مقتنعاً صادقاً بعدالة قضيّته، قدمها بسلطان باسم قانون العدالة الأزلي، الذي باسمها يستخدم العنف ضدّ المسيحيين!

وكتابه حوار مع **تريفو اليهودي** (١٤٢ فصلاً) عبارة عن مناظرة مع يهودي معتدل طالبٌ للمعرفة، التقَى به في مدينة أفسس. وقد استغرقت هذه المناظرة يومين. ويلاحظ أن يوستينوس في دفاعه الذي قدمه كفيلسوف يحدث الفلاسفة، أما في حواره مع **تريفو** فكمؤمن بالعهد القديم إلى ابن من أبناء إبراهيم.

استشهاده:

استشهد يوستينوس في روما سنة ١٦٦م. في عهد **مرقس أوريليوس**. وقد يكون السبب في استشهاده الهزيمة التي أوقعها بفيلسوف كاذب يُدعى **كريسنس** علانية أمام الجمهور، وما لبث هذا الفيلسوف أن سَعى به لدى السُلطات فَقُدِّم يوستينوس إلى المحاكمة بتهمة المسيحية. وقُطِعَت رأسه مع ستة أشخاص آخرين.

الإسكندر في بيت المقدس

واستولى بنو يونان بمَهلَك دارا على ملك الفُرس ومَلَكَ الإسكندر بن فيلبُّس ودَوَّخَ الأرض وفَتَحَ سواحل الشّام وسَارَ إلى بيت المقدس لأنها من طاعة دارا. وخاف الكهنة من وصوله إليهم. ورأى في بعض تمثال رَجُلاً فقالَ: أنا رَجُلٌ أُرسلتُ لمعونَتكَ ونَهاهُ عن أذيّة المقدس وأوصاهم بامتثال إشارَتهم. فلما وصَل الى البيت لقيه الكاهن فبـالغَ في تعظيمه ودخَل معه إلى الهيكل وبارَك عليه. ورَغبَ الإسكندر أن يضع هنالك تمثالهُ من الذهب ليُذكَر به. فقال: هَذا حرامٌ لكن تَصرف همَّتكَ في مصالح الكهنة والمُصلِّين ويُجعَل لك من الذِّكر دُعاؤُهُم لكَ وأنْ يُسمَّى كُلُّ مولود لبني إسرائيل في هذه السنة بالإسكندر. فَرَضيَ الإسكندر وحَمَلَ لهم المال وأجزَلَ عطيَّة الكاهن. وسأله أن يستَخبر اللّه في حرب دارا. فقال له: إمضِ واللّه مُظْفِرُكَ. وقرأ له سفر دانيال. وقَصَّ عليه الإسكندر رؤيا رآها فَأَوَّلَها له بأنّه يَظفَرُ بدارا ثُمَّ انصرفَ الإسكندر.

(لإبن خلدون)

فلا تَكُن حَليماً عِندَ غَضَبِ غَيْرِك

بازٍ وديك تَنـاظَرا. فقالَ البازي للدّيك: مَا أَعرفُ أَقلَّ وَفاءً مِنكَ لأصحابكَ. قال: وكيفَ. قال: تُؤخَذُ بيضَةً وتَحضُنُكَ أهلُك وتَخرُجُ على أيديهم فيُطعمونكَ بأيديهم. حتّى إذا كَبرتَ صرتَ لا يَدنو منكَ أحـدٌ إلاَّ طُـردتَّ من هُنا إلى هُنا وصِحتَ. وَعَلَوتَ على حائط دار كُنتَ فيها سنينَ طرتَ منها إلى غيرها. وأمَّا أنا فَأُوخَذُ منَ الجبال وقد كَبرَ سِنِّي فَتُخاطُ عَيني. وأُطعَمُ الشيء اليسيرَ وأُساهَر فَأُمنَعُ مِنَ النَّوم وأُنسَى اليومَ واليومَيْن. ثُمَّ أُطلَقُ على الصَّيد وَحدي فأطيرُ إليه وآخذُهُ وأجيءُ به إلى صاحبي. فقالَ له الديك: ذَهَبتْ عنكَ الحُجَّةُ أمَا لو رأيتَ بازَ بنِ في سُفود النَّـار ما عُدَّتَ لَهُم. وأنا في كلِّ وقت أرى السَّفافيد مَملوءة دُيوكاً. فلا تَكُن حَليماً عِندَ غَضَبِ غَيْرِك.

(لبهاء الدين)

تطويب المسيح لتلاميذه الأطهار

«والتَفَتَ إلى تَلاميذه على إنفراد وقال: طُوبى للعيون التي تَنظُرُ ما تَنظرونَهُ لأنّي أقولُ لكم: إنّ أنبياءَ كَثيرينَ وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تَنظُرون ولم يَنظُروا وأن يَسمعوا ما أنتُم تَسمعونَ ولم يَسمَعوا» (لو١٠:٢٣-٢٤)

للقديس كيرللس رئيس أساقفة الإسكندرية (٣٧٥-٤٤٤م)

دعنا هنا نَرى أيَّة عطايا تَفَضَّلَ وأنعَمَ بها علينا نحن الذين دُعينا بالإيمان به إلى معرفة مجده. يقول الإنجيل: والتَفَتَ إلى تلاميذه وهم على إنفراد وقال لهم: طوبَى للعيون التي تنظر ما تنظرونه، والآن فَرُبَّ مُعترض يقول: لماذا لم يُخاطب كل المجتمعين هناك بكلماته التي تَصف هذه البَرَكات ؟، وما الذي جعله يلتفت إلَى تلاميذه وهم على إنفراد ويقول لهم: طوبَى للعيون التي تنظر ما تنظرونه ؟. ماذا إذن تكون إجابتنا؟ إنَّه ليس من اللائق أن نشرح الأمور التي لها طبيعة سرِّية لكل مَن يُصادفنا، ولكن للأصدقاء الأحبَاء فقط. فأولئك(التَلاميذ) هم أصدقاؤه، هم الذين حَسبَهم مستحقين للتَّلمذة له، الذين استنارت عيونَ قلوبهم، وصارت آذانهم مُستَعدة للطاعة. فإنه قال في إحدى المَرَّات للرُّسُل القديسين « لا أعود أُسَميكم عبيداً بل أحباء، لأن العبد لا يَعلم ما يعمله سيّدُه، ولكني دَعوتُكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو١٥: ١٥). بلا شك كان هناك كثيرون مجتمعون وواقفون في حضرته إلى جوار أتباعه المختارين، ولكنهم لم يكونوا جميعهم مؤمنين فكيف يُمكنه أن يتكلم بالحق للجميع وبلا تمييز قائلاً: طوبَى للعيون التي تنظر ما تنظرونه. وطوبى للذين يسمعون ما تسمعونه؟، لذلك فهناك سبب مناسب أن يَلتَفت إلى تلاميذه، أي أنه حَوَّلَ وجهه عن هؤلاء الذين لن ينظرُوا ولن يسمعوا. بل هم غير مطيعين، وعقلهم مظلم، لذلك أعطى نفسه كُلِّيتَهً لمن أحبوه، ونظر إليهم وقال: طوبَى للعيون التي تنظر ما تنظرونه، أي بالحري التي تَتَفَرَّس في الأشياء التي يجب رؤيتها أولاً قبل الأشياء الأخرى.

أما عن العبارة المستخدمة هنا، فهي مُستمدّة من العادات الشائعة في كلام الناس، وفي مثل هذه العبارات لا تُشير الرؤية إلى عمل عيوننا الجسدية. ولكن بالحري إلى التمتّع بالأمور التي يمنحها المسيح لخائفي اللّه. كما يقول أحدهم مثلاً: هؤلاء وأولئك رأوا أوقاتاً سعيدة بدلاً من أن يقول: استمتعوا بأوقات سعيدة. وبنفس الطريقة يمكنك أن تفهم المكتوب في المزمور المُوَجَّه إلى الذين يُثَبِّتون أفكارهم في الأشياء التي فوق: «وتُبصر خيرات أورشليم» (مز١٢٨:٥) بدلاً من وتشترك في سعادة أورشليم أي الأشياء التي فوق في السماء، التي يدعوها بولس: «أم جميع القديسين» (غلاطية ٤:٢٦). وأيُّ شكٍّ يمكن أن يكون في أنَّ أولئك الذين نَظَروا المعجزات الإلهيّة التي صنعها المسيح، والأعمال العجيبة التي فعلها لم يكونوا مغبوطين في كل الأحوال: فجميع اليهود رأوا المسيح يَعمل بجلال إلهي، ومع ذلك فليس من الصواب أن نَحسبهم جميعاً مغبوطين، لأنهم لم يؤمنوا ولا رأوا مجد المسيح بعيون العقل. إنّهم بالحق مُذنبين بالأكثر، ولا يليق أن يُعتَبَروا مُطَوَّبين؛ لأنهم رغم رؤيتهم ليسوع وهو مملوءٌ بالمجد بواسطة الأعمال الفائقة الوَصف التي عملها إلاَّ أنهم لم يُؤمنوا به.

ولكن تعالوا نسأل: ماذا رأت أعيُننا ؟ ولماذا نالت أعيننا التطويب؟ ولأي سبب وَصلَت إلى هذه البَرَكَة ؟. إنها رأت أن اللّه الكَلمَة، الذي هو صورة اللّه الآب، قد صارَ جسداً لأجلنا، إنها أبصَرت ذلك الذي هو شَريك عرش الآب، ساكناً فيما بيننا، وفي شكلنا، لكي، بالتَّبرير والتقديس، يُشَكِّلنا على شبهه، ويَطبَع فينا جمال ألوهيّته بطريقة عقليّة وروحيّة. وعنَ هَذَا يَشهد بولس ويكتب: «وكما لبسنا صورة التُّرابي، هكذا نَلبَس صورة السمائي» (١كو١٥:٤٩)، والرسول يَقصد بصورة الترابي: آدم الذي خُلقَ أوّلاً، ويَقصد بالسمائي: الكَلمَة الذي هو من فوق، الذي أشرَقَ من جوهر اللّهَ الآب، ولكنه صارَ ـ كما قلتُ ـ مثلنا. فالذي هو بالطبيعة ابن، أخذَ شكل العبد، ولكنه لم يأخذ حالَتنا لكي يَستمر في وضع العبودية، بل لكي يُعتقنا نحن الذين رُبطنا بنير العبودية، لأن كل ما هو مخلوق هو بالطبيعة عبد، ولَكي يُغنينا بما له. لأننا به ومعه قد نلنا الخلاص بسخائه ونعمته. فذلك الذي أسمانا بنيناً، شارَكنا فَقرنا ليَرفع طبيعة الإنسان إلى غناه، وذاقَ الموت على خشبة الصليب ليَرفَع من الوَسَط الإثم الذي ارْتُكبَ بسبَب شجرة (المعرفة). وليمحو الذَّنب الذي نتج عن ذلك، وليَنزَع من الموت طغيانه علينا. لقد رأينا الشيطان يَسقُط، رأينا ذلك الذي جعَلَ العالم يَخضَع لنير مُلكه، يُجَرَّد من تَسلُّطه علينا، وجعلَ المُزدَري والمُحتَقر، والذي كانَ يُعبَد يوماً يصير مُزدَرَى ومُحتَقَراً، والذي جعلَ نَفسه إلهاً تَطَأهُ أقدام القديسين. والذي تَمَرَّدَ على مجد المسيح صارَ مَدوساً بواسطة الذين يحبون المسيح: لأنهم أخذوا سلطاناً لِيَنتهروا الأرواح الشريرة ويُخرجوها، وهذه القوّة هي كرامة عَظيمة وعالية جداً بالنسبة للطبيعة البشريّة، لكنها لائقة بالإله العليّ.

والكلمة الذي ظَهَرَ في شكل بشريّ كان هو أوّل من وضَع لنا المثال. لأنه هو أيضاً انتهَرَ الأرواح الشرّيرة. أما اليهود الأشقياء، فإنهم تَقَيّأوا ضده افتراءات حَسَدهم قائلين: «هذا الإنسان لا يُخرج الشيطان إلاَّ ببعلزبول رئيس الشياطين» (مت١٢ : ٢٤)، ولكن الربّ فَنَّدَ هذه الكلمات الشرّيرة بقوله: «إن كنتُ أنا، ببعلزبول، أُخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يُخرجون ؟ ولكن إن كنتُ بروح اللّه أُخرج الشياطينَ فقد أقبلَ عليكم ملكوت اللّه» (مت١٢: ٢٧ – ٢٨). فإن كنتُ ـ يقول الربّ ـ وأنا إنسان مثلكم لديّ سلطان القوّة الإلهيّة، فقد أقبلَت عليكم البَرَكة العظيمة، لأن الطبيعة البشرية قد تمجَّدت فيَّ لأني وَطئتُ الشيطان. إذن فقد أقبَلَ علينا ملكوت اللّه، بواسطة الكَلمة الذي صارَ مثلَنا والذي يُمارِس في الجَسد الأعمال اللائقة باللّه.

وأعطى الرُّسُل القديسين أيضاً قوّة وسلطاناً على إقامة الأموات وتطهير البُرص وشفاء المرضَى، وكذلك أن يستدعوا الروح القدس من السماء بوضع الأيدي على مَن يُريدون. كما أعطاهم سلطاناً أن يحلّوا ويَربطوا خطايا النّاس، كما قال: «بأني أقول لكُم ما ربطتُموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وما حَلَلتُموهُ على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مت١٨:١٨).

هذه هي الأشياء التي نرى أنفسنا الآن نملكها، فطوبَى لأعيننا وأعيُن جميع مَن يحبّونه. إننا سَمعنا تعليمه الذي لا يُنطَق به، فأعطانا معرفة الآب، وأرَانا إيّاه في طبيعته الخاصة، والأشياء التي كانت بواسطة موسى لم تكن سوى مثالاً ورمزاً، أما المسيح فقد أعلَنَ لنا الحقّ ... وعلَّمنا ليسَ بالدِّم والدُّخان، بل بالذبائح الرّوحية، يجب أن نُكَرِّم ذلك الذي هو غير جسدي، وغير مادي، وهو فوق كل إدراك. إن أنبياء قديسين كثيرين اشتهوا أن يروا هذه الأشياء، وملوكاً كثيرين أيضاً. اسمعهم مَرَّةً يقولون: «أرنا يا ربُّ رَحمتك، وأعطنا خَلاصَك» (مز٨٤:٧)، لأنهم يَدعونَ الإبن: رحمةً وخلاصاً، وفي موضع آخر أيضاً: «اذكرني برضَى شعبك وتَعَهَّدني بخلاصك، لنَرى سعادة مختَاريك، ونفرَح بفرح شعبك» (مز١٠٥ :٤).

مَن هو الشعب المختار في المسيح بواسطة اللّه الآب؟، يقول لنا بطرس الحكيم، وهو يتكلم إلى الذين تَشَرَّفوا بالإيمان: «أما أنتم فجنسٌ مختار، وكهنوت ملوكي، أُمّة مقدّسة، شعب اقتناء، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط٢:٩). ونحن إنّما قد دُعينا إلى هذا بواسطة المسيح.

إنتبه للحَسَد فهو قتّال

للقديس باسيليوس الكبير

إنتبه للحَسَد، فما من شهوة أشَدّ سوءاً وضَرَراً من الحَسَد. فهو لايؤذي القريب بقدر ما يُؤذي الإنسان الحسود نفسه. فالحسَد سوسة تنخر قلب الإنسان في الأعماق، وتعمل فيه كما يعمل الصدأ بالحديد. هو كآبة نفس وحزنٌ يصيب الإنسان لدى مشاهدة السعادة التي يتمتّع به الغير. وكم في الحياة من أسباب ودواعي يتعرّض لها الحسود فتثير حفيظته. فإن أخصَبَت أرض قريبه او ارتفع له بيت وتَزَيّن ؛ اذا كان سعيداً في عمله ومع عائلته؛ كلّ هذه أمور توغر قلب الحسود وتزيد عذابه. الحسود يشبه رجلاً عارياً يتعرّض جسده كلّ ساعة للسهام. فإذا رأى شخصاً قويّاً معافَى إغتَمَّ ؛ وإذا قابَلَ إنساناً جميلاً، أو آخر ذكيّ الفؤاد، جُرِحَ في الأعماق؛ وإذا علم أن إنساناً نجح في الحياة نجاحاً باهراً أحَسَّ بألم يُدمي فؤاده.

وأشدّ ما في الحسَد أنّ داء يُطوى في الكتمان. ترى الحسود خافض البَصر، كالح الوجه، يشتكي باستمرار من عذاب داخليّ ممّا يُذبل وجهه ويُضني جسده فيهزل ويضعف. فهو يستحي أن يقول «**إني حسود**»، أشعر بالمرارة والحزن للخير الذي حصل عليه إنسان غيري، وانّي أتعذّب لسعادة أصدقائي، ولا أطيق نجاح أترابي، إنّي أرى أنّ سعادة الآخرين هي سيفٌ يمزّق أحشائي ويطعنني في الصميم. هذا ما كان يجب أن يبوح به الحسود. لكنه يفضّل أن يحفظه في قلبه ويصمت، وهكذا يبقى الدّاء في ذاته فيضنيه العذاب ويُفني جسمه قليلاً قليلاً.

لا أجد طبّاً لمعالجة الحسود، ولا دواء لشقاء هذا المرض الخبيث، فالعزاء الذي يُرطّب قلبه، لا يحصل عليه إلاّ عندما يرى الذين يحسدهم قد حُرموا من السعادة. كما ان بغضه لا يحدّه ولا يوقفه شيء إلاّ زوال نعمة قريبه وانهيار نجاحه.

وعندئذ فقط يُظهر المودّة للغير إذ يراه حزيناً باكياً، رغم أنّه لا يعرف الفرح مع الفَرحين بل يعرف فقط البكاء مع الباكين. فهو يتأسّف لوقوع النكبة، لا عطفاً على المنكوب، بل لكي يزيد ألمه بذكر ما فقده أمامه.

الحسود، علاوة على ما ذكرنا يفقد الإحساس والشعور بالقيَم. فلا تتكلّم أمامه عن فضيلة، أو عن جمال أو عن قوّة أو عن روعة وفتنة منظر ما. فلا شيء من كلّ هذه يعجبه. وبذلك هو يشبه بعض الطيور التي ترى المراعي الخصبة، والأشجار الجميلة الباسقة، ومناظر الطبيعة المدهشة، لكنّها لا تتوقّف ولا تحطّ بأقدامها الاّ في المستنقعات والمزابل. وعلاوة على كل ذلك، عند الحسود تصبح الفضيلة رذيلة، والخير شرّاً. وهكذا الرجل الشجاع يعتبره الحسود متهوراً، والعاقل بليداً، والبار مجرماً، والحكيم مُرائياً والكريم مُسرفاً ومُبَذّراً، والحريص بخيلاً. إنّ كلّ الفضائل تُصبح عند الحسود رذائل.

وكما يقول الشاعر للّه دَرَّ الحسَد ما أعدَلَهُ بدأ بصاحبه فَقَتَلَهُ

ذكر الأعجوبة التي صنعها ميخائيل رئيس الملائكة، في الإسكندرية زمن الإمبراطور الرومي العظيم قسطنطين الملك

كان في الإسكندرية هيكل عظيم على اسم زُحَل وكان فيه صنمٌ أسوَد يحجّ اليه الناس من كل صوب فيذبحون له الذبائح ما لا يُعد ولا يُحصَى. فلما رأى الأنباثاوونا (ثاوفانا) بطريرك الإسكندرية ذلك اغتمَّ للأمر غماً شديداً، فقام، بأصوام وأسهار، يصلّي متنهداً بدموع الى الرب يسوع المسيح أن يقشع الضلالة عن عيون العباد ويخلّصهم من هذه البَلوى العظيمة. وقد ثَابَر على الصلاة والطلبة ليل نهار، لا يكفّ عن البكاء والابتهال حتى أتاه رئيس الملائكة ميخائيل وقال له: يا ثاوونا (ثاوفانا)! لقد استجاب الرب طلبَتك وصلواتك، وها قد أمرني، سبحانه وتعالى، أن أنزل غداً، وهو يوم العيد، **لأدكّ الصَنم** وأقطّعه اثنتي عشرة قطعة. لذلك أقول لك أظهر ذاتك للملك وعامة الناس. أنذر فيهم وخَبِّر بما أطلعتك عليه ولا تنقص مما اعلمتك به شيئاً فإني ساعٍ قدامك ومساعدٌ لك وحافظٌ إيّاك فلا تَخف. فامتثل البطريرك الى أمر الملاك وصعد الى الملك فأطلعه على ما هو مزمعٌ أن يكون، وأذاع القول بين الناس أيضاً. فلما سمع الملك قول البطريرك، أمر باعتقاله الى أن يتحقّق ما أنبأ به أو يسلّمه الى عذاب شديد. فقال البطريرك للملك: «ولكن، إن تمّ ما ذكرته فما عساه يكون منك؟» فأجاب الملك: «لا أخالفك في ما تأمرني به!».

فانتصَب البطريرك في معتقله، واقفاً حيناً وراكعاً حيناً آخَرَ، يرفع الصلاة والابتهال الى ربّه الليل بطوله.

فلما كان الغد التقى الملك والناس في الهيكل العظيم، والقوم يركعون للصَنم ويصلّون اليه على مألوف عادتهم. وإذ بزلزلة تضرب المكان فيهتز كل ما في الهيكل اهتزازاً عنيفاً حتى كاد الناس فيه يهلكون. وإذ بالصَنم يسقط الى الأرض ويتكسّر اثنتي عشرة قطعة. فلما عايَن الملك ما حدث وأصابَ الهَلَع الحاضرين قال للبطريرك القدّيس مرتعداً: لقد آمنت بأمانتك فبمَ تأمرني؟! فللوقت عمّده وعمّد من أهل الاسكندرية وسواها خلقاً كَثيراً.

ثم إن البطريرك أمر أن يُبطَل عيد الصنم ويُعيَّد عوضه لرئيس الملائكة ميخائيل الذي اجترح الأعجوبة بأمر الرب يسوع المسيح وأنقذ الناس من الضلالة. فغمر الملك والناس سرورٌ عظيم وهم الى الآن والى انقضاء الدنيا يعيّدون هذا العيد في اليوم السادس من شهر حزيران.

يذكر أعجوبة رئيس الملائكة ميخائيل هذه عددٌ كبيرٌ من السنكسارات الملكية، أقدمها من القرن الثالث عشر. وهي واردة في مخطوط دير عطية ٣٥ وفي مخطوطي حمص ١٩ و٢٠ . والسيرة كما نقلناها ههنا استعرناها من سنكسار البلمند ١٤٩ (٤٣٢). التقويم الفلسطيني الجيورجي ٣٤ ، من القرن العاشر، يعيّد اليوم لرؤساء الملائكة، والتقويم الماروني (الفاتيكاني السرياني ٣١٣) للملاك ميخائيل.

قَدَّم الكاتب لخبر الأعجوبة بالقول:

«أخبَرَنا الأب انبا يوحنا أسقف فسطاط مصر أن أهل الإسكندرية وأعمالها يعيّدون لميخائيل رئيس الملائكة في اليوم السادس من شهر حزيران ﴿بسبب﴾ الأعجوبة التي صنعها بالاسكندرية على أيام البطرك ثاوفانا بصنم زحل في هيكله. فلذلك ﴿كتبت﴾ انا الخاطي هذا الخبر وهو زايد عن المصاحف العتيقة ليكون يعيّد له كل سنة حسب ما جرت العادة ﴿عند﴾ المصريين».

فأما يوحنا الأسقف فلا نعرف عنه شيئاً واما الفسطاط او المسماه «بابل مصر» فتكاد تقابلها اليوم القاهرة القديمة، واما البطريرك ثاوفانا فلا تذكر اللوائح سوى واحد تسمّى بهذا الاسم وقد تبطرك بين ١٩ حزيران سنة ٩٥٣م وَ ٦ كانون الأول سنة ٩٥٦م، وهو طبعاً غير البطريرك المقصود، المفترَض ان يكون قد عاش في حدود القرن الرابع للميلاد.

وقد ختم الكاتب، أو ربما أحد النساخ فيما بعد، خبر الأعجوبة بالإبتهال التالي: «ثم نحنُ نسألك ايها الملاك المجيد العمومي المفتعل الخيرات مع جنس المسيحيين ان تُعين ضعفنا نحن الخطأة الذين قد لبسنا الثوب الملاكي بالزيّ لا بالفعال، وان تَهُدّ قوّة العدوّ عنّا. فإننا ضُعُفاً، جسدانيين ، ولعل ببركتك ومعونتك، ولو بجزء اليسير من الخير، نَقوى على عمله ولو في آخر الأنفاس يكون ذلك رحمة منك. آمين».

من هذا القول نستدل ان الكاتب، أو ربما مَن أضافَ الفقرة الأخيرة، كان راهباً.

للخبر صلة بالسنكسار القبطي الذي يذكر في اليوم الثاني عشر من بؤونة، وهو الموافق السادس من حزيران، ان الوثنيين بالإسكندرية كانوا «يعبدون الصنم زُحَل، صاحب التمثال الذي بنته كليوبترا في اليوم الثاني عشر من شهر بؤونة. وفي أيام الملك قسطنطين، وعهد البابا الكسندروس، أخذ في وعظ الجميع مُظهراً لهم خطأ عبادة الأوثان التي لا تعقل ولا تتحرّك وخطأ تقديم الذبائح لها. ثمّ حُوِّلَ هيكل هذا الصَنم الى كنيسة باسم الملاك ميخائيل بعد ان حَطَّمَ التمثال، وطلب منهم أن يذبحوا الذبائح للّه الحيّ ويوزعوها على الفقراء الذين دعاهم اخوته حتى يكسبوا بذلك شفاعة الملاك ميخائيل. وكانت هذه الكنيسة تسمى وقتئذ بكنيسة القيسارية». هذه الكنيسة خربت إبان دخول المسلمين، ولكن حافظت الكنيسة على العيد عبر الأجيال في اليوم عينه.

من جهة أخرى، ورد في التراث البيزنطي اليوناني عيد في التاسع من شهر حزيران يستفاد من خبره ان **الإمبراطور قسطنطين** حوّل هيكلاً وثنياً الى كنيسة على اسم رئيس الملائكة ميخائيل بعدما ظهر له رئيس الملائكة في المكان. هذا التقليد انتشر، فيما يبدو، في حدود القرن السادس للميلاد.